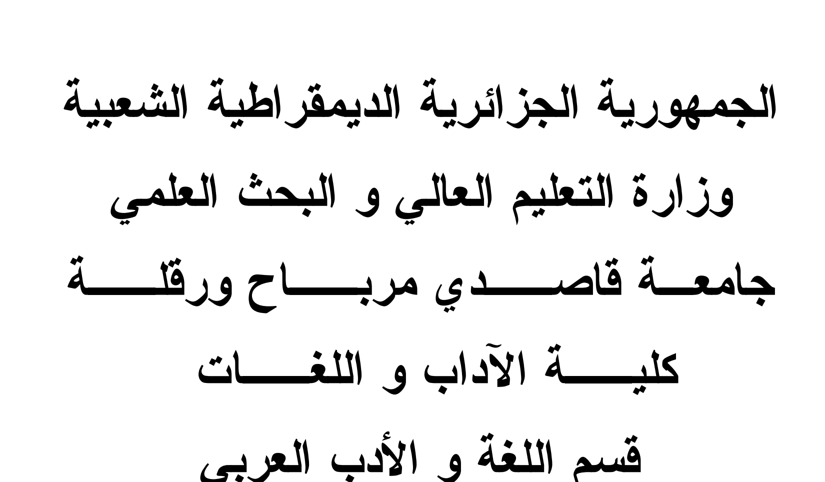


الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعـــة قاصــــدي مربــــاح ورقلــــة

كليــــة الآداب و اللغـــــات

قسم اللغة و الأدب العربي

الجودة في النقد الأدبي القديم

طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي نموذجا

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر

تخصص : النقد الأدبي و مصطلحاته

من إعداد الطالبة:

✓ حلاســــة رانيــة

تحت إشـــــراف الأستاذ:

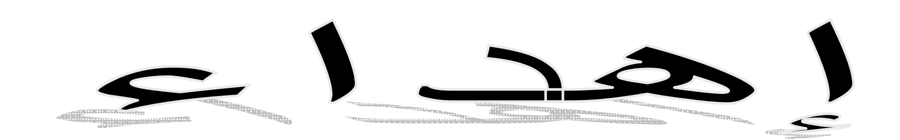
* أ. بن طريــة عمـــر

اللجنة المناقشة :

أ/د. علي محدادي	جامعة ورقلة	رئيسا
أ/د.سي الكبير أحمد التجاني	جامعة ورقلة	مناقشا

السنــة الجــامعية 2014/2013


بسم الله الرحمن الرحيم



إلى التي دمي من دمها ,وروحي من روحها, إلى التي تربيت بين أحضانها و سقتني من أنهار جنانها , إلى أزهى ذكرى وأحلى لحن ,إلى التي حملتني وهنا على وهنٍ , وأرضعتني من طيبائها حولين كاملين ,إلى من تكون الجنة تحت قدميها, أمي الحبيبة الغالية حفظها الله.

إلى من زرع بذور الإرادة في نفسيو غرس شتائل الأمل في و ُجداني, إلى من كان رمز الكفاح و النجاح, ومن كان قدوتي و منار دربي ونبراس حياتي إلى والدي العزيز.

إلى من صحبتني في رحلتي مع هذه الرسالة, تمسح العرق, و تجدد الأمل بدعائها ,إذ ما فتئ لسانها يردد آيات الحفظ و الدعاء لإكمال هذه الرسالة جدتي العزيزة.

إلى من استطاعوا أن يدخلوا قلبي بكل سهولة, وأن يتربعوا عليه دون

استئذان و نالوا مكانة الأخوة, لوقوفهم إلى جانبي أصدقائي كل باسمه

والحب والتقدير إلى كل من له الفضل عليا.

حلاسة رانية



الحمد والشكر الله الذي بنعمته تتم الصالحات،وبتوفيقه تتحقق الغايات

نحمده عزوجل أن هدانا وسدد خطانا لأتمام هذا العمل التواضع،

يطيب لي في هذا المقام أن أتقدم بأعظم الشكر و اسمى معاني

العرفان إلى من كانو لي نعم المعلم الموجه و المحفز.

شكر خاص إلى الأستاذ الدكتور (عمر بن طرية) المشرف على

هذه المذكرة لما قدمه من دعم وتوجيه ونصح لأخراج هذا العلم إلى

النور.

كما أعترف بالجميل للذين لايمكن إلاّ الإنحناء أمامهم للأساتدة الكرام

الذين كانوا طيلة العام النور الذي نبصربه الطريق نحو المستقبل.

وشكر كبير لكل من قدم يد العون لي سواء من قريب أو من بعيد من أجل

إنجازهذا العمل أقدم لهم خالص شكري وعرفاني

بالصنيع الجميل فتقبلوا مني مشكورين جزيل الشكر.


الفهرس

الفهـــــــــرس

الإهداء I

الشكر II

الفهرس ....

المقدمة .... أ– د

الفصل الأول : الجانب النظري 1– 40

مقدمة الفصل 2

المبحث الأول : ماهية النقد و الجودة 2

المطلب الأول : تعريف النقد.. 3

المطلب الثاني : النقد الأدبي قديما 5

المطلب الثالث : تعريف الجودة 9

المبحث الثاني : معايير الجودة 11

المطلب الأول : معيار الجودة عند الأصمعي.. 12

المطلب الثاني : معيار الجودة عند ابن قتيبة 23

المطلب الثالث : معيار الجودة عند قدامه بن جعفر 29

المطلب الرابع : معيار الجودة عند ابن سلام الجمحي.. 39

خلاصة الفصل 40

الفصل الثاني : الجانب التطبيقي 41 –77

مقدمة الفصل 42

المبحث الأول: لمحة موجزة عن الكاتب و كتابه.. 42

المطلب الأول: لمحة موجزة عن حياة محمد ابن سلام الجمحي.. 42

الفهـــــــــرس

المطلب الثاني : ابن سلام و مكانته.. 43

المطلب الثالث : كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام.. 44

المطلب الرابع: المعايير النقدية في كتاب طبقات فحول الشعراء (أسس المفاضلة)................. 65

المبحث الثاني : جودة و تجلياتها في كتاب طبقات فحول الشعراء................................ 67

المطلب الاول : مظاهر الجودة عند الشعراء الجاهليين 67

الطلب الثاني: مظاهر الجودة عند الشعراء الاسلاميين 75

خلاصة الفصل 77

الخـــاتمــــة 78

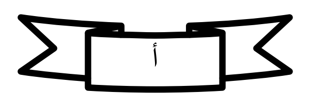
قائمة المصادر و المراجـــــع 80


المقدمة

لقد فطر الناس على حبِّ المفاضلة والموازنة فيما بينهم لنيل أعلى المراتب والدرجات, وقد ظهرت هذه الفطرة واضحة جليّة حين ظهر الشعر و تبارى في قرضه الشعراء، وليست الموازنة إلاّ ضربا من ضروب النقد، يميّز بها الجيّد من الرديٍ وتظهر بها وجوه القوة و الضعف في مختلف الأساليب، فهي تتطلب إلماما بالأدب,و بصرا بمناحي العرب في التعبير, وقد تأكد لديّ أنّ الشّعر العربي القديم جدير بأن تُقام لبعض مقوماته دراسة خاصة, وأنّه لقيَ من استحسان القدماء من النقّاد الأوائل ما يجعله حقيقيا بالعناية، ولعل أبرز مثال سوق عكاظ, لأنّه كان في نظرهم أُقدر الشعراء على وزن الكلام, كما تناقل الناس أحكاما سائرة في تفضيل الشعراء بعضهم على بعض و تقديمهم إياهم.

ومن هنا لم يكن تفضيل الشعراء مبنيًا على مقاييس محددة واضحة، وإنّما هي أحكام مطلقة تدور حول إجادة الشاعر في التعبير عن معنى من المعاني في قوة و إحكام.
وبقي الأمر كذلك حتى تأليف ابن سلام الجمحي (193هــ-231هــ) كتابه « طبقات فحول الشعراء» الذي يعد أول مؤلف نقدي يخضع لمعايير منهجيّة, ولعل أبز تلك المعايير معيار الجودة الذي شكل فلسفة جمالية جعلت الشعراء يتسابقون إلى تطبيقه على شعرهم لنيل أعلى الدرجات, كما كانت الشُغل الشَاغل لدى العامة و المتذوقين للأدب بالبحث عن أجود بيت، و أجود قصيدة، و أعدب بيت, كما شغلت النقاد, إذ راحو يصنفون و يجمعون من شعر ما التي لا يستوعبه عقل ,قصد دراسته و الوقوف على خصائصه الشّعرية, وملامح الجودة الأدبيّة تُؤهله بأن يحتلّ أعلى المراتب ويتّسم بالقراءة.

ولعظم هذا العمل و القدر الكبير من الفائدة المحصلة من البحث فيه, تكونت عندي رغبة في دراسة هذه الظاهرة و التطرق لمثل هذه القضايا, نظرا لما تحويه من سعة في الزاد المعرفي ,وما تطلبه من تركيز ,أضف إلى ذلك ما تتميز به هذه الدراسة من سعة في



الفهم و الحكمة، وقدر كبير من رحاب الصدر و موضوعية في البحث. فهذه الأُمور وغيرها دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع لاعالجه في موضوع وسمته بـــ: مفهوم الجودة في النقد الأدبي القديم– طبقات فحول الشعراء لابن سلام –نموذجا .

والدراسة تدور حول مفهوم الجودة في النقد الأدبي القديم و البدايات الأولى للمصطلح و مراحل تطوره في ذلك العصر, إلا أن أصبحت معيارا بارزا يحتكم إليه الشعراء.

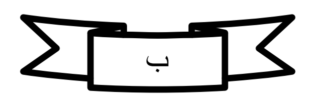
أما الإشكالية المعالجة في هذا البحث فتقوم على سؤلات : ما مفهوم الجودة في النقد الأدبي؟ وما الدلالات المختلفة لفكرة الجودة؟ وترصد معانيها , وكيف نظر النقاد القدامى للجودة؟

كل هذه القضايا تصبُّ في صلب الموضوع .و هذا ما ساحاول معالجته بإذن لله في هذا البحث قصد الوقوف على جوانبه ,وضبط قضاياه و تذليل مفاهيمها لتكون إن شاء الله زيادة خير في المكتبة، و يتحقق بها النفع لكل طالب أراد البحث، و الله من وراء القصد.

أما فيما يخصّ المنهج المعتمد في هذه الدراسة فهو المنهج التاريخي ,وذلك من خلال التعرض لفكرة الجودة منذ ولادتها وصولا بها إلى مدلولها النقدي عند ابن سلام, و آلية الوصف و المنهج التحليلي اللذين يظهران في الدراسة التطبيقية, وهذا من خلال التطرق لمختلف الجوانب الفنية في كل قصيدة من قصائد كل شاعر من شعراء الطبقة .

وجَاءت هذه الدراسة في خُطة اقتضت أَن تكون في شكل مُقدمة، و مدخل ,و فصلين, تناولا صلب الموضوع وخاتمة عرضنا فيها أهم النتائج المستخلصة من هذا البحث وتفصيلها يكون كالتالي:

المقدمة: وتناولنا فيها حديثا عاما حول الشعر وجودته ,وكيف كانت الموازنة و المفاضلة بين الشعراء



المدخل: تناولنا فيه مصطلح النقد قديما, بداياته وما الأسس و المعايير التي كان يقوم عليها النقاد للحكم على الشعراء

أما **الفصل الأول:** فخصصناه لمفهوم النقد لغة/اصطلاحا, وكيف كان النقد قديما, كما عالجنا فيه مفهوم الجودة لغة/اصطلاحا, بالإضافة إلى معيار الجودة عند بعض النقاد القدامى{ الأصمعي– ابن قتيبة–قدامة بن جعفر– ابن سلام }.

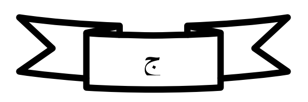
أما **الفصل الثاني:** فكان عبارة عن الجانب التطبيقي، حيث تناولنا فيه: تعريف ابن سلام { مولده, نشأته, مكانته } بالإضافة إلى تعريف الكتاب وأهم القضايا التي تناولها وصولا إلى الجودة وتجلياتها في كتاب طبقات فحول الشعراء { مظهر الجودة عند شعراء الجاهليين ,و الإسلاميين } .

و**خاتمة البحث:** التي عرضنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها.

وقد اعتمدت في هذا البحث على جملة من المصادر و المراجع كانت الزاد المعرفي ولعل أبرزها كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، و الشعر والشعراء لابن قتيبة و نقد الشعر لقدامة بن جعفر، والتفكير النقدي لعيسى علي العاكوب .

أما عوائق:

التي واجهتني في هذا البحث تمثلت في حالة الصحية التي كانت سبب في الانقطاع عن التنقيب و التنقير في البحث بين الفينة و الأخرى، وأخيرا أتقدم بالشكر الوافر إلى الأُستاذ المشرف: عُمر بن طريّة على ما قام به من رعاية لهذا البحث من تصحيح للأخطاء, وإعطاءه يد العون و المساعدة من متابعة وتقويم فله منا جزيل الشكر و العرفان .



كما أشكر كل من ساعدني في هذا البحث أي أو تقويم أو توجيه, أو دلالة على كتاب أو إعارة .....أو غير ذلك. وأتوجه بالشكر الجزيل إلى أساتذتي ممن لهم عليّ الفضل و على رأسهم رئيس قسم اللغة وحاالأدب العربي :الدكتور: عيساني عبد المجيد.

ونسأل الله التوفيق و السداد في هذا العمل كما نَرجوا منه أن اكون على قدر من الصّحة و الصواب، و كفاية من الدّقة و الفلاح في إلمام بجوانب هذا البحث .فما وفقنا إليه من صواب الرّأي و سلامة في التحليل ورجحان من توفيق الله، وأَمّا ما خالف ذلك فبتقصير من النفس و تخاذل في العمل وهو من مداخل الشيطان، وحسبنا أن لا تطوق أعناقنا فحسبنا أننا حاولنا جادين وما التوفيق إلاّ من عند الله.

حلاسة رانية

ورقلة في :2014/05/24

الفصل الأول
الجانب النظري

المبحث الأول: ماهية النقد و الجودة

مط 1: تعريف النقد

مط 2:النقد الأدبي قديما

مط 3:تعريف الجودة

المبحث الثاني: معايير الجودة

مط 1: معيار الجودة عند الأصمعي

مط 2: معيار الجودة عند أبي قتبية

مط 3: معيار الجودة عند قدامه بن جعفر

مط 4: معيار الجودة عند ابن سلام الجمحي

خلاصة الفصل

مدخل:

إنّ النظر في النقد الأدبي على أنَه في الكثير من جوانبه عملية عقلية تتناول الآثار الأدبية المختلفة بالدرس و التحليل و إصدار الأحكام النقديّة الملائمة على تلك الآثار و تقويمها و بيان محاسنها و مساوئها ,يعني على أنّ هذا النقد بداهة الاستعانة بالأدوات المناسبة التي تمكنه من تحقيق هذه الأهداف، و اللجوء إلى وسائل علمية مختلفة تؤمن له الانتهاء إلى أحكام نقدية موضوعية تقنع الملتقي و المبدع في آن واحد، و هذا يقتضي من هذا النقد بل و يفرض عليه أن يتسلح بأسس قوية لتحقيق غاياته، و يعتمد علي لغة علمية سلمت في خطابه، قوامها الدقة و التحديد، و الموضوعية، و الحيادية، و لعل تحقيق هذه المطالب لا يتم و لا يمكن إنجازها إلا من خلال الاستعانة بالمصطلح النقدي الذي لا ينبغي أن يكون موجودا فحسب، بل عليه كذلك أن يكون متطورا ليواكب التغيرات التي تطرأ على الأدب ذاته بفنونه المختلفة، و أساليه القوليه المتنوعة، و الذي لا يماري فيه أحد هو أن الأدب سابق للنقد فالنقد عملية تالية للأدب، تأتي بعده و لا تسبقه، و لعل الاختلاف في الأصول و الأسس و الأدوات ... و الطبيعة، و غير ذلك بين الأدب و النقد، هو ما جعل النقد العربي القديم مختلفا عن الأدب في نشأته الأولى ، إد مر وقت ليس بقصير حتى بدأ هذا النقد يدبّ بخطواته، و يمشي ... محاولا دراسة هذا العلم الذي كان قد وصل إلى مرحلة كبيرة من النّضج و الازدهار و التطور.

واستطاع النقاد الأوائل على الرغم من حداثة التجربة النقدية لديهم أن يستنبطوا بعض المصطلحات النقدية التي اعتمدوا عليها في دراساتهم للشعر، و الحكم على الشعراء

و إنزالهم في المراتب التي يستحقونها من حيث جودة أشعارهم ورداءتها و لعل من بين أشهر المصطلحات مصطلح الجودة الذي سوف نحاول من خلاله الوقوف علي دلالته اللغوية و الاصطلاحية، و بيان بعض سماته، و خصائصه، و أهم المعايير التي يلتزم بها وما مدى الاهتمام به لدى النقاد و العلماء.

ماهية النقد و الجودة

تعريف النقد

أولا : تعريف النقد لغة

وردت لفظة نقد في معاجم اللغة العربية بمعاني شتى و أهمها ما جاء في **لسان العرب**: "و النقد و التنقاد: تمييز الدراهم، و معرفة جيّدها من رديئها. **قال الشاعر:**

تَنفىَ يداها الحصى في كل هاجرة نفى الدنانير تنقاد الصياريف

و نقدت الدراهم و انتقدتها إذا أخرجت منها الزيف، و ناقدتُ فلان إذا ناقشته".

و قِيل نَقَدَ الدراهم نقدا و تنقادا: "أعطاه إياها, و نقد الدراهم الدنانير ميّز جيدها من رديئها، و نقد الرجل الشيَ بنضرة ينقده نقدا و نقده إليه :اختلس النظر نحوه".

و يُقال "نقد الشئ ينقده نقدا إذا انقره بإصبعه ....و النقد أن يضرب الطائر بمنقاده أي بمنقاره ......و قد نقده إذا نقرهُ "[1].

كما جاء في المحيط: "النقد خلاف النسيئة، و تمييز الدراهم و غيرها، كانتقاد و الانتقاء و التَّنَقدِ، و إعطاء النقد و النّقر بالأصبع في الجَوز، و أن يضرب الطائر بمنقاده أي بمنقاره في الفخ".[2]

قد ورد في مختار الصحاح: "نقده الدراهم و نقد له الدراهم أي أعطاه إياها ....و نقد الدراهم و انتقدها أخرج الزيف منها".

كما جاء في حديث الدرداء أنّ معناه العيب لقوله :" **إن نقدت الناس نقدوك و إنْ تركتهم تركوك، أي أن عبتهم عابوك"[3].**

ثانيا : النقد اصطلاحا

[1]- لسان العرب، ابن منظور(د،تح): عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب وهاشم محمد الشادلي، دار المعارف، لقاهرة، جزء الأول،ص:4517 ،مادة (نقد).

[2]- القاموس المحيط، محمد الدين محمد الدين بن يعقوب القيروزيادي، تح: أنس محمد الشامي، زكرياء أحمد ، دار الحديث، القاهرة،سنة2008 ،ص:308-309 ،مادة (نقد).

[3]- مختار الصحاح، زني الدين محمد بن ابي بكر عبد القادر الرازي، تح: محمد بخاطر و حمزة فتح الله ، مؤسسة الرسالة 1414 هـ،1994م ،ص: 678 ، مادة (نقد).

إنّ مفهوم النقد من المفاهيم الواسعة المعنى التي لا يمكن تحديدها، لذلك كان من الطبيعي جدا أن نجد أكثر من تعريف للنقد عند مختلف المفكرين في مختلف العصور و الأمكنة، لذلك إنّ التعريفات في هذه الحالة تكاد لا تمثل أكثر من وجهات النظر المختلفة في فهم النقد، و طبيعي أن يختلف الناس في فهم الأشياء، و لا سيما إذا كانت من طبيعة مرنة كما هو الشَأن في النقد و الأدب و غيرها من المفاهيم المطلقة .و نود الآن أن نلمس ما يمكن إبرازه و تميزه من التعريفات التي أطلقت على النقد و التي يمكننا الإفادة منها في إثراء هذه الدراسة .

فرغم اختلاف معاني النقد من (تمييز بين الجيّد الرديً، و المناقشة، و الإحصاء و اختلاس النظر، و العيب) إلا انَّ المعنَى الأقربُ، و الأدقُ لمفهوم النقد هو التمييز بين الجيّد و الرديً من الدراهم ,و معرفة زائفها من صحيحها ,وكما يكون التمييز بين الجيّد و الرديً في الأمور الحسيّة يكون أيضا في الأمور المعنوية و منها النصوص الأدبية .

أما النقد اصطلاحا فهو : "هو فن تحليل الآثار الأدبية، والتعرّف إلى العناصر المكونة لها للانتهاء إلى إصدار حكم يتعلق بمبلغها من الإجادة[1]"، و قيل :" نقد الأدب: تناوله و دراسته، و النظر فيه .....و استخلاص عناصر الجمال التي سما بها, و سمات القبح التي اتّضع بها"[2].

و نقد الأدب : إبراز ما فيه من عيوب وما فيه من محاسن. و نقد الأدب: إشارة بإجادة المجيد المقصر المسيء فالنقد فهو العدل بالمشاهدة و الفحص لا بالأهواء و الميول .

قد عُرف النقد في أدقّ معانيه بأنه: "**فن دراسة النصوص الأدبية لمعرفة اتجاها الأدبي و تحديد مكانتها في سيرة الآداب، و التعرف علي مواطن الحسن، و القبح مع التفسير و التعليل**"[3]، و قد جعله قدامه بن جعفر مقرونا بالشعر في عنوان كتابه (نقد الشعر)

[1]- المعجم الأدبي، جبور عبد النور، (د،تح): دار العلم للملايين ، بيروت ،لبنان، ط.2،1984، ص:283، مادة (نقد).
[2]- المعجم المفصل في الأدب، د.محمد التونجي،(د،تح)، درا الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.2،سنة1419هـ-1999،ج:1،ص:836،مادة(نقد).
[3]- في النقد الأدبي، التقديم عند العرب، مصطفى عبد الرحمان إبراهيم، مكة للطباعة ، سنة 1419 هـ،1998م ص:43.

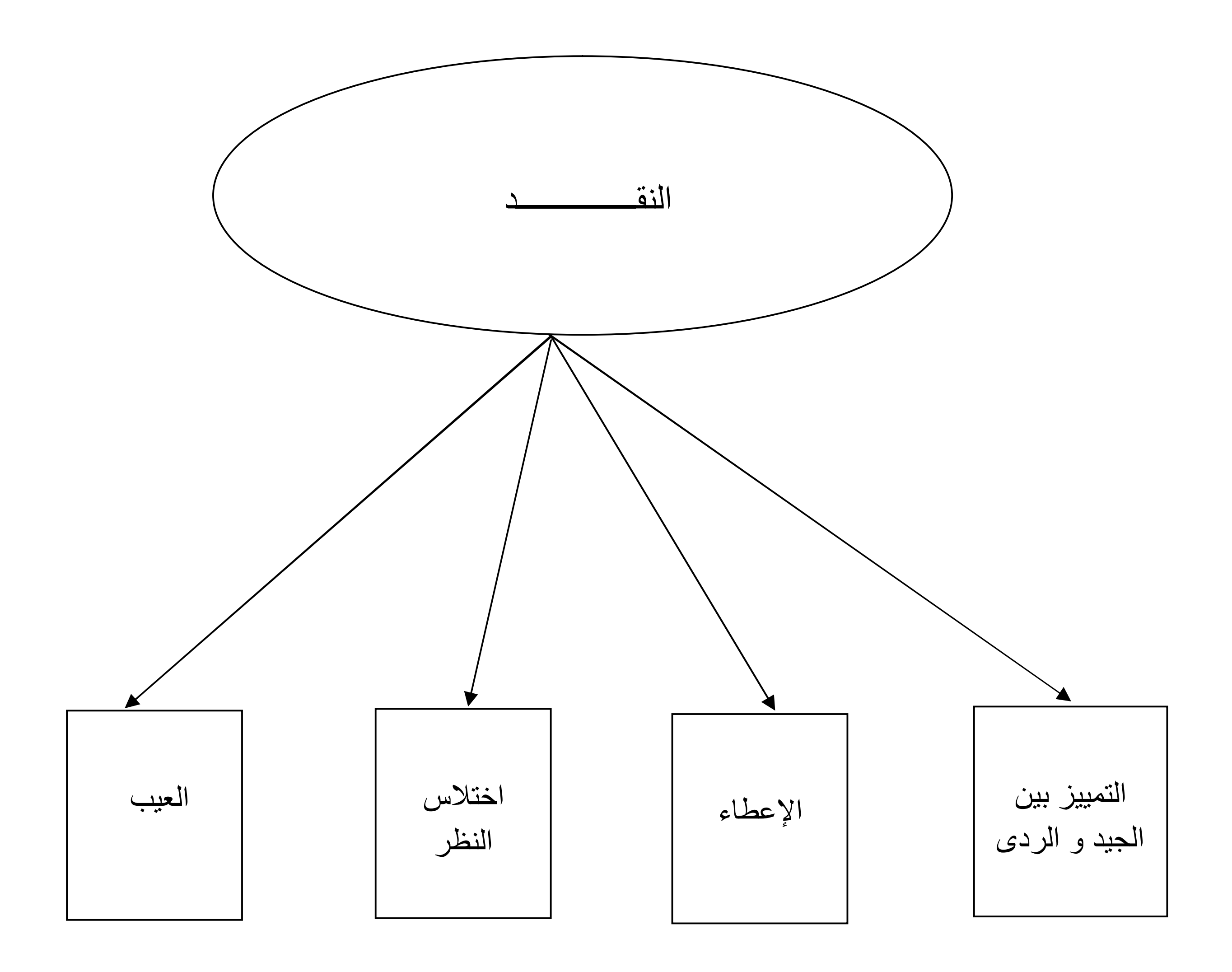
و ذكره في مقدمته **فقال** :" **و لم أجد أحدا وضع في نقد الشعر و تخليص جيّده من رديئة كتابا**"[1].

ومن النقاد العرب المعاصرين من يرى في النقد الأدبي مجالا معرفيا يجمع بين العلمية و الفنية، فهو: "**فن تقويم الأعمال الأدبية و الفنية، وتحليلها تحليلا قائما على الأساس العلمي، وهو الفحص العلمي للنصوص الأدبية من حيث مصادرها و صحة نصها و إنشاءها و صفاتها تاريخها** "[2].

على أساس علمي و هو الفحص العلمي للنصوص من حيث مصادرها و صحة نصها و إنشاءها و صفاتها و تاريخها و هناك من يرى أنّ النقد هو الذي " **يقف عند حدود دراسة الأعمال الأدبية بقصد الكشف عما فيها من مواطن القوة و الضعف و الحسن و القبح و إصدار الأحكام عليها**"[3]. و من خلال هده التعريفات نستخلص بأنّ النقد الأدبي هو دراسة الأشياء و تفسيرها و تحليلها وموازنتها بغيرها و المشابهة لها أو المقابلة، بُغية الحكم عليها ببيان قيمتها، و درجتها، و هو محاولة منضبطة يشترك فيها دوق الناقد و فكرة الكشف عن مواطن الجودة و الرداءة في الأعمال الأدبية.

[1]- نقد الشعر، أبي فرج قدامة بن جعفر، تح:عبد المنعم خفاجي،دار الكتاب العلمية، بيروت ،لبنان، (د.ط)(ج.ت)، ص:61.
[2]- النقد الحديث من المحاكاة إلى التفكيك خليل إبراهيم محمود، ،ط1،عمان،دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة، 2003 ،ص:11.
[3] -، في النقد الأدبي، عتيق عبد العزيز، في النقد الأدبي، ط2 ، بيروت، دار النهضة العربية،1972 م، ص:264.

الشكل رقم 01: مخطط توضيحي لمعاني النقد :



النقد الأدبي قديما

حين نضج الشعر و اكتملت صورته الفنية، فتن به العرب فتراؤوه و تذوقوه، و تغنوا به، و نظروا فيه تلك النضرة التي تلتئم مع حياتهم و طبيعتهم، و بعدهم عن أساليب الحضارة, فأعلنوا استحسانهم لما استجادوا، و استهجانهم لما استقبحوا في عبارات موجز و أحكام سريعة، إنَ كانت صحيحة عادلة فكما تمليها الفطرة السليمة، لا كما يمليها التعمق في البحث و الدراسة و المنطق الذي يعتمد علي التحليل و التعليل. ومن هنا وجد النقد الأدبي في الجاهلية حيث نشأ و ترعرع في أحضان علوم البلاغة و تحديدا علم البيان وكان في المرحلة الأولى فطريا ذا أحكام عامة يطلقها الشعراء و الكتاب و الأدباء بعضهم علي بعض سريعة لا تعليل فيها و تحليل تروى في الأسواق الأدبية التي كان التحكم فيها معتمدا على الذوق الخاص، و النظرة الحدقية يقول حسين الجدوانة :

"إنّ النقد الجاهلي نقد موجز، مركّز يتّسم بالارتجال و الذاتية التي لا تبعد أحيانا عن الموضوعية ......و لا ينفي هذا أن يتصور الناقد القصيدة ككل و يحكم عليها حكم عام و لم يكن النقد مستقلا و إنّما كان يدور في محيط الشعر، في صور أفكار و ملاحظات. و هي ملاحظات تدل علي وعيّ نقدي حمل سمات التجربة الإبداعية الشعرية بما تحمل من سمات الحياة البدوية من سهولة ووضوح و بعد عن التعقيد و قرب الخيال"[1].

و لعل أهم ما يتميز به النقد في هدا العصر الاتجاه إلى الصياغة والمعاني من حيث الصحة و الانسجام، و الحكم علي الشاعر بالجودة و الثناء عليه و غير ذلك، و هو حكم يعتمد علي الذوق و السليقة لا أثر فيه للفكر وما يتبعه من تحليل و استنباط. يقول شوقي ضيف ".... على أن لا نبالغ في تصور نقدهم فقد كان كما تشهد نصوصه نقد ذوق فطري"[2]. "إذَ لم تكن هناك قواعد مدونة يرجع إليها النقاد في الشرح و التعليل.

ومن أبرز مظاهر النقد الجاهلي ما كان يجري في سوق عكاظ المشهورة, التي كانت سوقا تجارية، و موعدا للخطباء، و كانت في آن واحدة بيئة للنقد الأدبي يلتقي فيها جهابذة الشعر و يعرضوا ما جاءت به قرائحهم من أشعار، و الباعث علي ذلك هو الاستمتاع

[1]- في النقد الأدبي القديم عند العرب، د.حسين الجدوانة، دار اليازوري، الأردن، ط1 ، 2013 ، ص:49

[2]- نفسه: ص 50 .

و التحاور و إصدار الأحكام، من ذلك ما نجده عند النابغة الذبياني صاحب السمت الرزين في سوق عكاظ حيث كانت "تضرب له قبة حمراء من أدم بسوق عكاظ, و تأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها، فانشده الأعشى أبا بصيرت 7هـــ ثم أنشده حسان بن ثابث(ت54هـــ) ثم جاءت الخنساء السلمية(ت24هـــ) فأنشدته، فقالت لها النابغة: و الله لولا أن أباصير أنشدني آنفا لقلت إنك أشعر الجن و الإنس، فقال حسان: والله لأن أشعر منك و منها. قال:

حيث تقول ماذا ؟ قال : حيث أقول:

لنا الجفنات الغرّ يلمعن بالضّحى و أسيافنا يقطرن من نجدة دما

و لدنابني العنقاء و ابني محرقٍ فأكرم بنا خالا و أكرم بنا ابنما

فقال النابغة :" إنك لشاعر لولا أنك قللت عدد جفانك و فخرت بمن و لدت و لم تفخر بمن ولدك ...."[1] و يقال بأنّ الخنساء صاحبة القصائد الجياد و التي يتدفق شِعرها رقة و سلاسة و حضرت إلى مجلس النابغة حائلة اللون كاسفة البال، و ترثي أخاها صخرا الذي أضمرته الأرض، و طوته الغبراء فأنشدته قصيدها:

قدى بغيك أم بالعين عوراء حتى وصلت إلي **قولها:**

"و إنّ صخرا لتأتم ألهداة به ....كأنّه علم فـــي رأسه نار

وانّ صخرا لكفينا و سيّدنا .... إن صخرا إذا انشتو لنحّار

فقال النابغة بعد ما استمع لقصيدتها التي تستدر العيون و تذيب شغاف الأفئدة لولا أن أبا بصير أنشدني قبلك لقلت إنّك اشعر الجنّ و الإنس"[2]. وهذا يدلّ على طبيعة النقد في العصر الجاهلي، فهي أحكام مطلقة شاملة(الجن و الإنس)، و يدل علي أن أحكامهم كانت ذوقية و فطرية. فعندما انشده الأعشى عده اشعر الشعراء، وعندما أنشدته الخنساء عدها اشعر الجن و الإنس غير إن الأعشى سبقها بالإسناد وهذا يذل علي جانب كبير من

[1]- التفكير النقدي عند العرب ،د عيسى علي العاكوب،(د.تح) ،دار الفكر ، دمشق،ط 1 ، 1997 ،ص 26 .
[2]- في النقد الأدبي القديم عند العرب ، د: حسين الجداونة،(د.تح)، دار اليازوري، الأردن، ط1 ، 2013 ، ص39.

الذاتية و التي تعتبر من خصائص النقد في العصر الجاهلي والمقصود بها البعد عن الموضوعية و تأثر الناقد بعوامل خارجية عن النص الأدبي و لعل أبرز دليل حكومة النابغة على الخنساء .

ومن هنا يتمثل دور النقد الأدبي وغايته قديما في أربعة أمور وهي:

1) دراسة النص الأدبي بجوانبه الثلاث(الشكل – المضمون– صاحبه)

2) مساعدة القارئ على فهم النص وتذوقه.

3) توجيه الأدب وتطويره.

4) الحكم على النصوص الأدبية وبيان جيدها من رديئها (الجودة)

تعريف الجودة

1- الدلالة اللغوية لمصطلح الجودة:

"**جاء في لسان العرب** ": "الجيد: نقيض الرديْ: على فيْعل، و أصله جيود فقلبت الواو ياء لانكسارها و مجاورتها الياء، ثم أُدغمت الياء الزائدة فيها و الجمع جيادُ، و جيادات جمع الجمع، أنشده ابن الأعرابي:

كم عند بني العوّام من حسب ء ومن سيوف جيادات و أرماح"[1]

يقول صاحب المحيط : "الجيّد ككيّس ضد الرديٍ، ج : الجِيادٌ و الجيادات ٌ و جيائِد و جَادَ (يجُودُ) جُودة و جوْدَة :صار جيّد، و أجاده غَيرَهُ، و أَجْوَدَهُ، وَجَادَ و أَجَادَ: أتى بالجيّد فهو مِجواد، و اسْتَجَادَه : وَجدَه أو طلبه جيّدا و الجواد: السخي و السخية و استجاده : طلب جُوده فأجاده دِرهمًا: أعطاه إيَاه.و فرسٌ جوادٌ, بين الجُودة ,بالضم: رائع. و الجَوْد المطر الغزير. والجَوْدة : العطشة "[2].

[1] - لسان العرب، ابن منظور، جزء 1، ص: 720 ، مادة (الجود).

[2]- القاموس المحيط، محمد الدين محمد الدين بن يعقوب القيروزيادي،ص:308-309، مادة (الجود).

كما جاء في مختار الصِّحاح بمعنى :"**ج و د شئ جيّد و الجمع '(جياد)و (الجيائد) بالهمزة على غير قياس .و أجاد بماله يجود (جودا) فهو جوادُ. و قومٌ جوُدُ بوزن هود (أَجوِاد) بالفتح و(أجاوِد) بوزن مساجد, و جوداءُ يوزن فقهاء و كذا امرأة جُواد و نسوة جُودُ أيضا. و جاد الشئ يجود جودة بفتح الجيم و ضمها أي صار جيّدا و أجاد الشيَ فجاد و جوّده ُأيضا تجويدا. و شاعر مِجواد بالكسر أي يجيد كثيرا و أجاد النقد إعطاه. جيادا و استجاده عدّه جيّدا و الجيّد العنق و الجمع اجياد**"[1].

و يقول صاحب (تاج العروس): "الجيّد ككيّس ضدُّ الرديَ على فيْعل و أصلُهُ جَيْوِد قلبت الواو ياءً لانكسارها و مجاورتها الياء ثم أُدغمَت الياءُ الزائدة فيها. ج جيادٌ و جِيادات جمْعُ الجمع، و جاء الشّئ يَجُود جوُدة بالضم و جَودة بالفتح: صار جيّدا و أجاد غيره فأجاد: أتى بالجيد من القول والفعل و يقال أجاد فُلانٌ في عمله و أجود و جادَ عمله يجُود جودَة و جُدْت له بالمال جُودًا فهو مِجوادٌ بالكسر و مُجيد أيْ يُجيد كثيرًا و اسْتجاده : وجده جيّدا أو طلبه جيّدا و تخيّره كتجوِّدة. و في الأساس: أوجدتك ثوبا :أعطيته لك جيّدا "[2]

"يقول صاحب العين :جود جاد الشّيُ يجُودُ جَوْدة فهو جيّد، و جاد الفَرَسَ يجُود جُودَة فهو جوادٌ. و جاد الجوادُ من الناس يَجُود جودًا. و قومٌ أجواد و جَوِّد في عدوّه تجويدا, وعدا عَدْوًا جوادًا".

و هو يجود بنفسه و معناه يسوق نفسه ، **من قولهم:" إنّ فلاناً ليُجادُ إلى فلانٍ، و إنّه ليجاد إلى حتفه أي يُساق إليه**"[3].

ومن خلال هده التعريفات المختلفة التي وردت في المعاجم نستنتج أن للفظة الجودة مفاهيم عدة تتفرق استعمالا لتجتمع في مصبٍّ واحد ألا وهو الجيّد ضد الرديَ و لعل أبرز و أهم هذه المفاهيم المختلفة:

[1]- مختار الصحاح، زني الدين محمد بن ابي بكر عبد القادر الرازي، ص: 116 ، مادة (الجود).

[2] -تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تح: عبد السلام محمد هارون ، مطبعة حكومة الكويت، ط2 ، 1415 هـ،1994 م ،ص: 526 -527 ، مادة (جود)

[3] - كتاب العين، أبي عبد الرحمان بن أحمد الفراهيدي، تح: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السمرائي، سلسلة المعاجم و الفهارس، (د.ط)،(د.ت) ، الجزء6 ،ص:169 ، مادة (الجود).

- العطاء
- الطلب
- السَخاء
- المطر الغزير
- العطشة

إلا أنّ ما يهمنا من هذه المفاهيم المختلفة في هذا البحث، هو الحسن والجيّد ضد الرديءُ الذي اتخذه العديد من النقاد و الشعراء معيارا من المعايير لتصنيف الشعر و الشعراء إلى درجات ومراتب و طبقات، و يعتبر ابن سلام الجمحي من بين النقاد الذين ساروا وفق هذا المنظور و انتهجوه لتصنيف الشعراء إلى طبقات من خلال كتابه طبقات فحول الشعراء الذي يعدّ مادة هذا البحث .

2- الدلالة الاصطلاحية لمصطلح الجودة:

لم يخصص للجودة كتابا معينا لتعريفها و إنما جاءت لدى النقاد عبارة عن أراءهم و توجهاتهم حيث يرى قدامة بن جعفر أن مما يدخل في مقياس الجودة البيت الشعري و من أمثلة " الجياد في هذا الموضع ما قاله عبد المالك ابن مرون لعبيدة الله بن قيس الرقيات، إذ عتب عليه مدحه إياهّ : انك قلت في مصعب ابن الزوبير :

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

و قلت فيّ:

يأتلق التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب "[1]

ومن هنا فإن الجودة هي أدوات النقاد في بيان جمال العمل الأدبي، و هي وسيلة لتصور تجربة النقاد و إيصالها إلى المتلقي التي تصورها الألفاظ في و أدق تصوير.

معيار الجودة عن بعض النقاد القدامى

[1]- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تح: محمد يوسف النجمي، دار صادر،دار بيروت 1958 ،ص:91

بعد أن ينتج الشاعر قصدية ينحقها تخرج ليتداولها الجمهور، و تطير بين يدي النقاد ليحطموا عليها أنها بالجودة، أو الرداءة، و يكون هذا الحكم مبينا على ما تعارف عليه المبدع و المتلقي من شرائط و اعتبارات، و سنن يلزم المبدع يأخذها بعين الاعتبار عند الإبداع و يتخذها المتلقي معيارا يحكم به على ما أنتجه الشاعر.

و الشعر خصائصه التي تميزه عن صفوف القول الأخرى، وله بعد ذلك شؤائط و معايير تميز الجيد من المتوسط من الرديء، وهذه الشرائط تشمل اللفظ، و المعنى و التركيب كما تشمل الوزن و القافية، فرد على ذلك شكل للقصيدة و هندستها و التحام أجزائها وضمن هذا نجد ما يتبقى على الشاعر اتباعه من نعوت، و ما يجدر به اجتنابه من عيوب حتى يحصل في نهاية المطاف على شعر يوصف بالجودة و يبعث بالحسن.

و الشعر في حقيقته خليط من أمور كثيرة بالغة التداخل و التواشج و التعقيد، و الزلل في الشيء منها قد يردي بالشعر إلى مهاوي الرداءة و الغثاثة ، لذا ينبغي للشاعر أن يحرص على أن يخرج إبداعه في صورة مكتملة ما استطاع إلى ذلك سبيلا و ذلك من خلال مجموعة من المعايير التي سنها و وضعها نفيف من النقاد، و لعل أبرز هذه المعايير معيار الجودة و الرداءة اللذان كان محل اهتمام النقاد و الأدباء في التراث الأولي و النقدي، فما من شاعر، أو كاتب إلا و كان يسعى لجودة ما ينتجه. ما من ناقد و عالم لغة و أدب غلا و سعى الموقوف على مؤاخذ الحسن و القدح في ذلك النتاج، و عليه يكون الشاعر ملزما بطريقة أو بأخرى أثناء لحظة الإنتاج، و تنقيح الإبداع أن يضع في حسبانه السنن المتعارف عليها في إبداع الشعر ، التي وضعها النقاد، و لعل أبرز النقاد الذين اهتموا بهذا المعيار، و جعلوه مقياسا تقاس يه شاعرية الشعراء و درجاتهم.

أما سلامة بن جندل : " لو كان زاد شيئا كان فحلا"

معيار الجودة عند الأصمعي:

لهذا المعيار الذي يتخذه الأصمعي مضمارا يقيس من خلاله فحولة الشعراء قيمة كبيرة، و قبل أن نتطرق إلى هذا المعيار أودَ أن ألفت النظر إلى أن فحولة الشعراء لذا الأصمعي تعني فحول الشعراء، فالفحولة جمع فحل، وليس المقصود بها معيار نقديا

معينا، أو مقياسا فنيا واضح الأسس، و المعالم، تقاس به شاعرية الشعراء، و يعرف من خلاله مدى براعتهم في الفن الشعري، كما قد يتبادر إلى الأذهان، فالأصمعي يريد أن يعرفنا بالشعراء الجاهليين الأكثر إبداعا و تفوقا، و تألقا، فارتأى أن يصفهم بالفحول، و لا شَك أنه كانت في ذهنيه الأصمعي و عقليته النقدية معايير معينة، استطاع من خلالها أن يضع بعض الشعراء في زمرة الفحول، في حين أنه استبعد آخرين، ووجدوا أنهم لم يصلوا إلى مرتبة أولئك في إبداعهم الشعري، و لعل أبرز هذه المعايير و المقياس التي اعتمد عليها في تصنيفه للشعراء هي:

1-جودة الشعر.

2-الكم الشعري .

3-الزمن

4-غلبة صفة الشعر على الشاعر.

إلاَ أنَ ما يهمنا من بين هذه المعايير معيار جودة الشعر لأنه مهم جدا في تقييم الشاعر و قياس فحولته، و بيان تميزه و مقدار براعته في نظم الشعر و ستحاول من خلال هذه الدراسة تسليط الضوء عليه.

1-معيار جودة الشعر :

إنَ الشاعر المحيد له أفضال عديدة على باقي الشعراء، لأنه بمثابة المحور الأساس و المرجع الذي ينهل منه الشعراء : ليس الشاعر المجيد هو فاتح الطريق لباقي الشعراء في الكثير من الموضوعات، و تطويع الأغراض الشعرية؟ و مثل هذه المكانة أولاها الأصمعي لأمرئ القيس و ذلك في **قوله** " **ما أرى في الدنيا لأحد مثل** "

قول أمرئ القيس :

قاهم جدَهم ببني أبيهم لأشْقين ما كان العقاب

قال أبو حاتم فلما رآني أكتب كلامه فكر ثم قال : "**بل أولهم كلهم في الجودة أمرؤ القيس، له الخطوة و السبق، و كلهم أخذوا من قوله، و ابتعوا مذهبه** "[1]

و لم يخف الأصمعي إعجابه الشديد بامرئ القيس لما يحويه من جودة حتى فضلّه على من سواه من الشعراء.

"**قال أبو حاتم و سأله رجل : أيَ الناس طر أشعر؟**

قال النابغة: " تقدما عليه أحد"

قال : "و لا أدركت العلماء بالشعر يفضلون أحد".[2]

فما سبَب هذا التفصيل الذي خصَ به النابغة من قبل علماء الشعر و على رأسهم الأصمعي؟ لابد أنها **جودة الشعر** التي تتخذها لقياس شاعرية، شاعر عن الآخر و من ثم فحولته مما تميزه عنهم.

إننا نلاحظ عن الأصمعي و هو يتعرض للشعراء غير الفحول أنه ينظر إليهم بعين بصير خبير بالشعر، ليمكن ذلك من التميز بدقة جودة الشعر، و رداءته، و يحكم من خلالها على فحولته، و عدم فحولة الشعراء، أي فالشاعر الجيَد للشعر فحل تارة باجتماع خصائص غير فحل ينقص بعض الخصائص تارة. و نجد الأصمعي يمثل الانعدام فحولة لبيد بن ربيعة بــ:

" قلت : فلبيد بن ربيعة" :

قال ليس بفحل

" ثم قال لي مرة أخرى: كان رجلا صالحا، و كأنَه ينفي عنه جودة الشعر"[3]

فلبيد في رأي الأصمعي ليس من الشعراء الفحول، و السبب هو نفي عنه جودة الشعر كما اعتقد أبو حاتم، وقد حدَث الأصمعي ذات مرة قال:" **سمعت أبا عمرو في العلاء يقول :**

[1] - كتاب فحولة الشعراء ، تح: ش.توري، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط2،1400 هـ- 1980 م،ص:30 .
[2] - نفس المرجع : ص30-31.
[3] - المرجع السابق ،ص:50.

ما أحدا أحبَ إليَ شعرا من لبيد بن ربيعة، لذكرة الله عزوجل، و لإسلامه، و لذكرة الدين و الخير، و لكن شعره رحى يزر"[1] .فالمعيار الجودة الشعرية هنا أساس اعتمده الأصمعي كركيزة أساسية في تقييم شعر لبيد و إنزاله منزلته التي يستحقها.

كما قال في شأن المهلهل :

و لو كان قال مثل قوله :

أليتنا بذي جشم أنيري إذا أنت انقضيت فلا تحوري

كان أفحلهم [2].

فعلى الرغم من أنَ المهلهل ليس من الشعراء الفحول إلاَ أنَ بعض شعره يتميز بجودة أخاذه، و لو قال شعرا بذلك المستوى لكان أفحل الشعراء.

و هذا دأب الأصمعي في تمييز الشعراء الفحول، و غير الفحول، عبر معايير متمايزة حسب ما وجد عند الشاعر من جودة، و حسن النظم، ففي موضع أخر تراه يقرر أنَ كعب بن سعد الغنوي " **ليس من الفحول إلاَ في المرثية، فإنه ليس في الدنيا مثلها**"[3]، و مرثيته هي البائية التي رفى فيها أخاه إذ يقول في مطلعها :

تقول ابته العبسي قد شبت بعدنا و كل أمرئ بعد الشباب يشيب

و هذا دليل على إعجاب الأصمعي الشديد بجودة هذه القصيدة. و بالتالي فمكانة كعب بن سعد الغنوي عنده مرموقة، فقد أولاه درجة الفحول كما أنَ هذا دليل أخر إنَ الفحولة عند الأصمعي، غير مقصورة على شعر الشاعر جميعا بل يمكن لها أن تقتصر على قصيدة واحدة فقط، و يكون الشاعر فحلا من خلالها .

حيث قال " ليس أحد يقوم للشَماخ في الزائية، و الجيمية إلاَ إنَ أبا ذؤيب أجاد في جيميته حدا لا يقوم له أحد قال : هي التي قال فيها :

---

[1] ـ الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، أبي عبد الله بن عمران بن موسى المرزباني،تح: محمد حسين شمس الدين، دار كتب العلمية ، بيروت – لبنان، ط1 ،1995م ص:89 .
[2]ـ كتاب فحولة الشعراء ، الأصمعي، ص: 41.
[3]ـ نفس المرجع ، ص:48

"كأنَ تقال المرن بين تضارع أمه يرك من جذام لبيح" [1].

و بالتالي معيار جودة الشعر، من أحكم و أقدر المعايير التي تحدد مقدرة الشاعر الفنية و مدى حسن نسجه و براعة نظمه، و تبيَن مدى مكانته بين الشعراء، و فحولته .

بالإضافة إلى معيار الجودة نجد معيارا أخر لطالما رافق معيار الجودة، و حذا حذوه عند كثير من النقاد و هو معيار الكم الشعري.

2- **معيار الكم الشعري (معيار الكثرة)** : و هو من المعايير، و المقاييس التي اعتمد عليها الأصمعي في تصنيفه، و ترتيبهم للشعراء الفحول، و غير الفحول، و نقصد به كثرة الشعر، و كثافته، فكلما كان الشاعر مقوالا مكثرا كان له النصاب الذي برتقي به إلى مصاف الفحول، إذَ لابد للشاعر أنَ يقول عدد من القصائد التي نؤهله لأن يبلغ الدرجة العليا، ولا تكتفيه في ذلك الأبيات القليلة، أو النتف اليسيرة، و لا يحدد الأصمعي عدد القصائد التي ينبغي أن يقولها الشاعر حتي يعدَ فحلا، و بالتالي لا يعتمد الأصمعي بالأبيات، والمقطوعات القصيرة، بل يتخذ من القصائد الجيدة نموذجا متعاقب يطالب من خلاله شاعر أن ينسج على متواله.

و سنقوم في هذا المقام بإيراد الشعراء المقلين حسب ورودهم في سؤالات أبي حاتم للأصمعي، كما سنوسع في شأن بعضهم حسب ما أورده المرزبان في الموشح حتى تكون الصورة أكثر وضوحا، و السبب أكثر بيانا.

""يقول أبو حاتم السجستاني":

" قلت فالحويدرة"

قال : "و لو قال مثل قصيدته خمس قصائد كان فحلا"

و أما قصيدته التي قصدها في العينية و مطلعها

"تكرت سمية غدوة فتمتع و غدت غدو مفارق بم يرجع"" [1]

---

[1]- نفسه ، ص:68

فالحويدرة من الشعراء الجاهلين و البارزين و هو نظر الأصمعي مقل، و العينية التي أتى بها ذات مرتبة عالية اتخذها الأصمعي مقياسا له في الفحولة فقط لو نسج على متوالها خمسا آخر.

وقال في شأن المهلهل : " قلت مهلهل ؟ قال : ليس بفحل ، ولو كان قال مثل قوله :

ألبلتنايذي جسم أنيوي إذا أنت انقضيت فلا تحوري

كان أفحلهم ، قال :" **و أكثر شعره محمول عليه** "[2].

تري الأصمعي يحكم على المهلهل بعدم الفحولة لكونه من الشعراء المقلين و لم يذكر النصاب الذي يرفع من شأنه في المصدر المعتمد عليه ، و هوما أشار إليه المرزبان في الموشح و قدر النصاب بخمس قصائد إذ قال :" أخبرنا أبي دريد قال : أخبرنا أبو حاتم ، قال سألت الأصمعي عن المهلهل ، قال ليس بفحل ، وله قال مثل قوله :

ألبلتنايذي جسم أنيوي إذا انت انقضيت فلا تحوري

خمس قصائد لكان أفحلهم ، **قال** : "**و أكثر شعره محمول عليه**"[3]

كما أن هناك قضية أخرى تحمل قيمة خليفة تتمحور حول الكذب أوردها المرزبان في قوله:

" **وزعمت العرب انه كان يدعي في شعره، تتكثر في قوله أكثر من فعله** "[4]

مع الإشارة في قضية الانتحال ذلك الزيف، و التلفيف الذي افسد تلك اللثة التي لحقتنا من جملة ما قالته العرب.

يروي أفعاله في بني عمومته البكريين الذين حربهم زهاء أربعين سنة، و كان المهلهل يقول شعرا يخلد، و يمجد بطولاته في تلك الأيام و الدارات. وقول المرزبان هنا، كذب و تلفيف، و زيادات المهلهل في تلك الحوادث، و تكفي هذه الصفة الذميمة

1- المرجع السابق، ص: 40 .
2- نفسه، ص:41
3 - الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، أبي عبد الله بن عمران بن موسى المرزباني ،ص:94-95 .
4- نفس المرجع ،ص:95

معيارا يؤخر من خلاله الأصمعي فحولة، و بالتالي فنصاب المهلهل خمس قصائد مع تحديد الأنموذج

" **وقال : و لو قال ثعلبة بن صغير المازني مثل قصيدته خمسا كان فحلا**"[1]

و يعني بقصيدته الرائية التي يقول في مطلعها :

"**عند عمرة من بنات المسافر ذي حاجة مترَوح أو باكر**"[2]

و نصاب ثعليه بن صغير المازني خمس قصائد مع تحديد الأنموذج أيضا .

و قال: قلت: "فمعقَر البارقي حليف بني نمير؟ قال: لو أتم خمسا أو ستا لكان فحلا " [3]

و نصاب معقَر البارقي خمس أو ست قصائد دون تحديد للأنموذج

ثم قال : قالت : فأوس بن غفاء الهجيمي؟

قال :" **لو كان قال عشرين قصيدة كان لحق بالفحول**"[4]. فالأصمعي يري أوسا من الثراء المقلين إلى حد كبير، و إلاَ فلما يحدد نصابه بعشرين قصيدة؟ دون غيرة من أصحاب، و الست قصائد، دون تحديد للأنموذج.

أما سلامة بن جندل : " لو كان زاد شيئا كان فحلا"[5]

فالأصمعي هنا لم يحدد النصاب الذي يريده يرتقي سلامة إلى مضاف الشعراء الفحول و نظرة إلى نصاب القصائد الذي يعتمد الأصمعي في تحديد فحولة كل شاعر تجده متوقفا عند الخمس قصائد كأدنى تقدير، و أما الحد الأعلى فهو غير محدد، أي عند الحويدرة و مهلهل، و ثعلبة، بن صغير المازني النصاب هو خمس قصائد مع تحديد للأنموذج و أوس بن غلفاء الهجيمي فنصابه عشرون قصيدة دون تحديد للأنموذج أيضا، و أما

---

[1]- فحولة الشعراء ،الأصمعي، ص:42 .
[2]- المقضليات ، المفضل الضبي ،تح: أحمد محمد شاكر و عبد السلام هارون ، دار المعارف ، مصر،ط6 ، 1979 ، ص: 128 .
[3]- فحولة الشعراء ،الأصمعي، ص:46 .
[4] - المرجع السابق ،ص: 50-51
[5]- نفسه، ص :53

سلامة بن جندل لو كان زاد شيئا كان فحلا فلا قصائد تحديد نصابه، ولا أنموذج فما سبب هذه التحديدات التي وضعها الأصمعي ؟

تحديد الأصمعي للنصاب، والأنموذج جاء متذبذبا بين الشعراء، ووراء هذا الأمر خليفة دفعته إلى تحديد النَصاب لاعتبار فحولة شاعر على آخر. و ربما يكون السبب في الشهرة و المكانة القبلية التي يحتلها الشاعر، أي أنَ الشاعر صاحب المكانة الرفيعة في قبيلته كالمهلهل مثلا: إضافة إلى جودة أنموذج شعري واحد تشفع له، و يكثر عليه الأصمعي أثناء تحديد الكم على خلاف باقي الشعراء. هذا الذي يمكن أن نرجحه في الفصل في قضية الكم الشعري. ومن هنا فمعيار الكم الشعري هو معيار صالح يعكس تفوق شاعر على آخر في كثير من الأحيان، إذَ لا يمكن أنَ يتساوى شاعران مثلا، لأنَهما الأبيات القليلة، و لثانيهما القصائد الكثيرة، على أنه ينبغي أن ينتبها على أنَ مثل هذا المعيار لا يمكن الأخذ به على إطلاقه دائما بل لابد من أنَ يكون مرتبطا بمعيار آخر هو الجودة الشعرية في معظم الأحيان، ويمكن عده عاملا مرجحا إذا تساوى شاعران في جودتهما وتفوق أحدهم على الأخر.

ثالثا: معيار الزمن:

إنَ الأصمعي في تقسيمه للشعراء اعتمد على معايير كثيرة اتخذها مسوغا لتبريراته في فحولة شعراء على غير فحوله بعض فالشعراء الجاهليون منهم من هو فحل دون منازع، و فحولته ظاهرة لاعتبار عليها. أمَا باقي الشعراء بعد العصر الجاهلي فغدا بين حجيتهم، و يحدد مكانتهم، انطلاقا من معيار يعد الأساس، و الأوحد، في تحديد مراتب أولئك الشعراء، إنه عامل الزمن، الذي يحدد مكانة الشاعر على مر العصور، فقد وردت أحكام في ذلك الشأن عن الأصمعي، و هذا تفصيل لها.

" **وقلت : فجرير و الفرزدق و لأخطل؟ قال : هؤلاء لو كانوا في الجاهلية كان لهم شأن ولا أقول فيهم شيئا لأنهم إسلاميون**"[1] فالشاعر الإسلامي عند الأصمعي له مكانة أخرى غير مكانة الفحول الجاهلين و يتحرج في إصدار أحكام فيهم.

[1]- المرجع السابق، ص:68

قال أبو حاتم: "و كنت أسمعه يفضل جرير على الفرزدق كثيرا فقلت : له يوم دخل عليه عصام بن القبطي إن أريد أن أسألك عن شيء، و لو أن عصاما يعلمه من قبلك لم أسالك ثم قلت: سمعتك تفضل جرير على الفرزدق غير مرة. فما تقول فيهما، و في الأخطل فأطرق ساعة، ثم أنشد من قصيدته "[1]

لعمري لقد اسريت لا ليل عاجز ساهمة الخدين طاوية القرب

فأنشد أبياتا زهاء العشرة ، **ثم قال :**

"**من قال لك أن في الدنيا أحد قال مثلها قبله و لا بعده فلا تصدقه**"[2].

الملاحظ أنَ الأصمعي يحبذَ الشعر الإسلامي، أو بصفة عامة شعر الشعراء غير الجاهلية، و يرويه، و ينشده، و يطر جله، و ذلك راجع إلى ما فيه من الحلاوة، و الروعة و الجمال، من القوافي الرقيقة، و المعاني الحلوة السهلة. لكن الأصمعي شديد الصرامة في الفصل بين الشعراء، فهو لغوي بالدرجة الأولى، و في تقسيمه للشعراء تداخل في حجيتهم للغة إضافة إلى إبراز مكانتهم هو بذلك يتميز في تمييزه بين الشاعر الفحل و غير الفحل الشاعر الحجة في اللغة، و الشاعر غير الحجة ، فالشاعر الجاهلي حجة بالغة ، وما دون ذلك لا حجية له و إن فاقت جودة شعره ، حتى و لو كان أبو عمرو بن العلاء بفضل الأخطل **يقول الأصمعي:" سمعت أبو عمروني العلاء يقول: لو أدرك الأخطل من الجاهلية يوما واحدا ما قد مت عليه جاهليا و إسلاما"**[3].

ثم إن جمع الشعراء جاء من أجل تقويم اللسان العربي، و ها ما يتطلب منهجيا قويا و صارما. كما أن هذه الدقة المنهجية تلزم صاحبها الموضوعية، و التجرد من جميع الأهواء و الذاتية. فالشاعر الجاهلي فحل، و صاحب حجة كبيرة لا يتقدمه شاعر آخر مهما كان متأخر، و فاقد للاحتجاج في اللغة لأن لسانه أصابه من اللحن ما أفسد اللغة

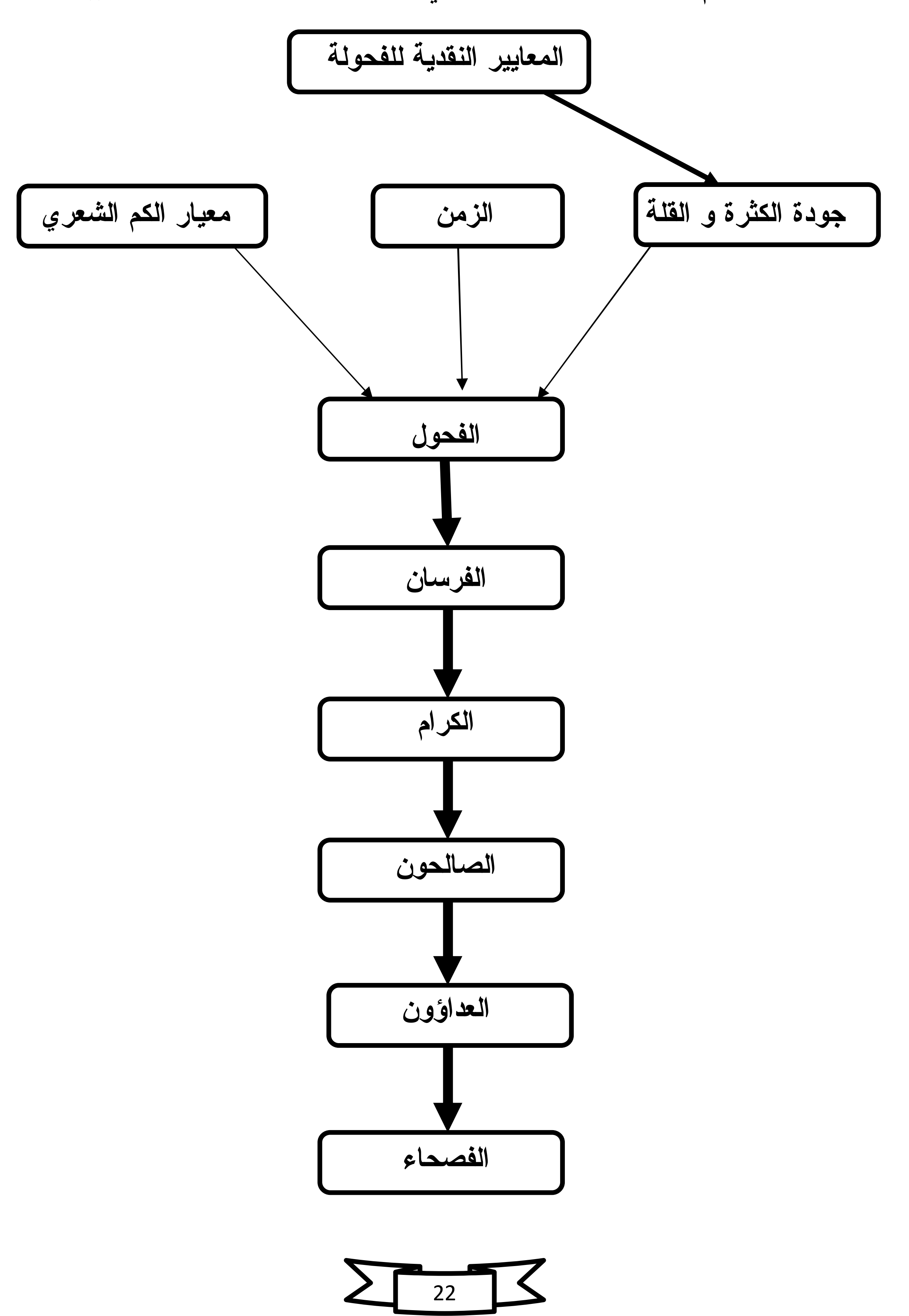
[1]- نفسه : ص43
[2]- نفسه : ص43-44
[3]- المرجع السابق : ص44

فكل حسب منزلته، و كل بمقداره. **قال الأصمعي : " أنشدت أبا عمرو بن العلاء شعرا فقال : ما يطبق هذا من الإسلاميين أحد و لا الأخطل** "[1]

فمهما بلغت مكانة الشاعر، وجودة شعره، و لكن إذا تعدى ذلك الفارق الزمني و خرج عن الجاهلية فلا حجة له، و لا تقديم، و في ختام الحديث عن المعايير التي أعتبرها الأصمعي في تصنيفه للشعراء نبرز مخطط الفحولة الذي رتب وفقه الشعراء حسب المعايير

[1]- نفسه : ص 44

الشكل الرقم 02 : مخطط الفحولة الذي رتب وفقه الشعراء حسب المعايير



معيار الجودة عند ابن قتيبة (ت- 276 هـ)

شغف العرب بجمال التعبير، وأناقته، و إصابة المعني، وحسن المطالع، و المقاطع و التئام أجزاء النظم، وتفننوا في تمييز الكلام الجيَد من الرديء.

و قد كان كثير من النقاد يتخذون الجودة في الشعر مقياسا للمفاضلة بين الشعراء.

و قد يبد المقياس الجودة في المفاضلة بين الشعراء موضوعيا، لأنَه يتصل بالشعر أكثر منه من الشاعر. إلاَ أنَ هذا المقياس النقدي يتوقف تحقيقه على مدى القدرة على التمييز بين جيد الشعر ورديئة، وهذا لا يتهيأ إلاَ لمن بلغ منزلة واسعة في معرفة أساليب الكلام العربي.

إلاَ أنَ الحكم على شعر شاعر، و تفضيل شاعر على آخر من خلال شعره يخضع عند ابن قتيبة إلى عدة عوامل لعل أبرزها و أهمها **الجودة، فقال** :" **فكل من أتى بحسن في قول أو فعل ذكرنا له، و أثنينا به عليه و لم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله، و لا جداته سنة. كما أن الرديء إذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه و لا تقدمه**"[1].

فأبن قتيبة تجده يقف موقفا مخالفا لمواقف كثيرة لمعاصرية، من تخيروا الأشعار على أساس غير موضوعية كالتقدم في الزمان، و شرف القائل و غير ذلك إن يقول في هذا " **فإنني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله. و يضعه في تخيره و يدل الشعر الرصين، و لا عيب له عنده إلا أنه قبل في زمانه، أو أنه رأى قائله... و لم يقصر الله العلم و الشعر و البلاغة على زمن دون زمن، ولا خص به قوما دون قوم، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عبادة في كل دهر، وجعل كل قديم حديثا في عصره .... فقد كان جرير، و الفرزدق، و الأخطل، و أمثالهم، يعدون محدثين، و كان**

[1]- الشعر و الشعراء، ابن قتيبة ، تح : أحمد محمد شاكر ، دار الأثار ، القاهرة ،ط1، 2009، ج1، ص: 64

أبو عمرو بن العلاء يقول : " لقد كثر هذا المحدث و حسن حتى لقد هممت بروايته، ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد منهم"[1]

فأبن قتيبة تجده قد اتجه بالنقد العربي اتجاها موضوعيا من خلال تحديده لمجموعة من المعايير و الأسس الجمالية للشعر، و التي إن توفرت في الشعر زادت من إعلاء شأنه و لعل أبرز هذه المعايير:

1-**جودة اللفظ و المعنى:** تلعب هذه ثنائية دورا هاما في إبراز مقدرة، و جودة شاعر على أخر مما تحمله من سمات تقسم الشعر، و الشعراء إلى طبقات إذ يقول: قال أبو محمد : تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب :

1 . ضرب منه حسن لفظه و جاد معنه، كقول القائل في بعض بني أميه:

في كفه خيزران ريحه عبـــق من كف أروع في عرنينة شمـــم

يفضي حياء و يفضي من مهايته فما يكلم إلا حيـــن يبتســـــــم

لم يقل في الهدية شيء أحسن منه.

و كقول أوس بن حجر :

أيتها النفس اجملي جزعا إن الذي تحذرين قدوقعا

"**لم يبتذيء أحد مرتبة بأحسن من هذا** "[2]

2-وضرب منه حسن لفظه و حلا، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى

"كقول القائل :

و لما قضينا من منى كل حاجـــــة و مسَح بالأركان من هو ماســـح

و شدت على حدب المهارى رجالنا و لا ينظر الغادى الذي هو رائـــح

[1]- المرجع السابق : ص 64

[2] -المرجع السابق : ص 66

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننـــــا و سالت بأعناق المطى الأباطــح

هذه الألفاظ كما ترى أحسن شيء مخارج، و مطالع، و مقاطع، و إن نظرت إلى ما تحتها من المعنى و جدته:" **و لما قطعنا أيام منى، واستلمنا الأركان و علينا إيلنا الأنضاء ومضى الناس لا ينظر الغادي الرائح، ابتدأنا في الحديث، وسارت المطي، و في الأبطح. وهذا الصنف في الشعر كثير** "[1]

3-"و ضرب منه جاد معنه، و قصرت ألفاظه عنه، كقول لبيد بن ربيعة :

ما عاتب المرء الكريم كنفسه و المرء يصلحه الجليس الصالح

هذا و إن كان جدي المعنى و السبك فإنه قليل الماء و الروفق . و كقول الفرزدق :

و الشيب ينهض في الشباب كأنه ليل يصيح بجانبيه نهار "[2]

4-و ضرب منه تأخر معناه و تأخر لفظه ، كقول الأعشي في امرأة:

و فوها كأقا حـــي غداه دائم الهطـــل

كما شيب براح با رد من عسل النحل

كما أن قضية الجودة في اللفظ و المعنى تلفت الدراس إلى إشارات أهمها :

1-" **عندما يطابق المقام الذي يقال فيه تمام المطابقة : و هاهنا معيار جمالي يمكن تحديده في لغة البلاغة بمصطلح " مطابقة الكلام لمقتضى الحال " و يحدد في لغة النقد بكلمتين الإصابة و الجدة** "[3]

متى اتفقا الشاعران في أصل المعنى، و زاد أحدهما عن الأخر عرف للمتأخر فضله في تلك الزيادة بقول ابن قتيبة : " **وكان الناس يستجيدون للأعشي قوله :**

و كـــأس شربت على لذة و أخرى تداويت منها بها

---

[1]- المرجع السابق، ص: 66-67

[2] - نفسه، ص:68-69

[3]- التفكير النقدي عند العرب ، د. عيسى علي العاكوب ،دار الفكر، دمشق، ط5، 2006 ، ص159

حتى قال أبو نواس

دع عنك لومي فان اللوم أغراء   و داوني بالتي كانت هي الدَاء"

"فتسلخه وزاد فيه معنى آخر، اجتمع له به الحسن في صدره و عجزه : فالأعشي فضل السبق إليه، ولأبي نواس فضل الزيادة فيه"[1]

2-و يمضي ابن قتيبة في دكر بعض الوجوه التي تختار عليها الشعر حيث يقول : و قد يختار و يحفظ لأنه غريب في معناه كقول القائل في الفتى :

"ليس الفتى يفتى لا يستضاء به   و لا يكون له في الأرض آثار" [2]

و يقصد بالمعنى الغريب الطريق المبتدع الذي ابتدعه قائله و العرابة في المعنى لا يكون حسنة مستعد به إلا إذا كان المعنى جيد بدل فيه فيما يلي :

1-**جودة المخرج و المطلع و المقطع** : يقول ابن قتيبة : "**وهذا يكثر و فيما ذكرت منه ما ذلك على ما أردت أحسن الروى، و أسهل الألفاظ، و أبعدها من لتعقيد و الاستكراه و أقربها من أفهام العوام . كذلك اختار للخطيب إذا خطب و الكاتب إذا كتب فانه يقال : أسير الشعر و الكلام المطمع ، براد الذي يطمع في مثله من سمعه، و هو مكان النجم من يد المتناول** " [3]

2-**كثرة الماء و الرونق** : إذ قال عن الألفاظ مما جاد معناه و قصرت عنه ألفاظه : " **إنه قبيب الماء و الرونق**"[4] بمعنى أنه جاف و قليل الإشراف و النضارة الرواد فإن توفرت كثرته في الشعر صار جيد إذا طلاوة و بريقا.

3-**الفصاحة و قوة الإجادة عن المعاني** : إذ قال عن ألفاظ المعيار الثاني مما جاد معناه و قصرت ألفاظه عنه: "**و لست أرى ألفاظه جيادا، و لا مبينة لمعناه** "[5]

[1]- الشعر و الشعراء، ابن قتيبة ، ص: 73
[2] - المرجع نفسه :ص:84
[3] - نفسه ،ص: 99
[4]- نفسه ، ص 96
[5] - نفسه :ص69

4-**السماحة و السهولة و التدفق:** و معناه أن نصدر ألفاظا عن طبع لا تكليف فيه، لا إكراه، يقول ابن قتيبة في هذا معلقا عن أبيات الخليل بن أحمد :" **و هذا الشعر بين التكليف رديء الصنعة. وكذلك أشعار العلماء ليس فيها شيء جاد عن الإسماح و السهولة، كشعر الأصمعي، و شعر ابن المقفع، وشعر الخليل** "[1]

5-**مجانبة الحشو و التكرار** فقد عد ابن قتيبة مما تأخر معناه و لفظه قول الأعشي :

" **و قد غدوت إلى الحانوت يتبعني شَاوٍ مِشلّ شَلُولٌ شُلْشُلُ شَوَلُ**

و قال عنه: هذه الألفاظ الأربعة في معنى واحد، و كان قد يستغني بأحدهما عنها جميعا"[2].

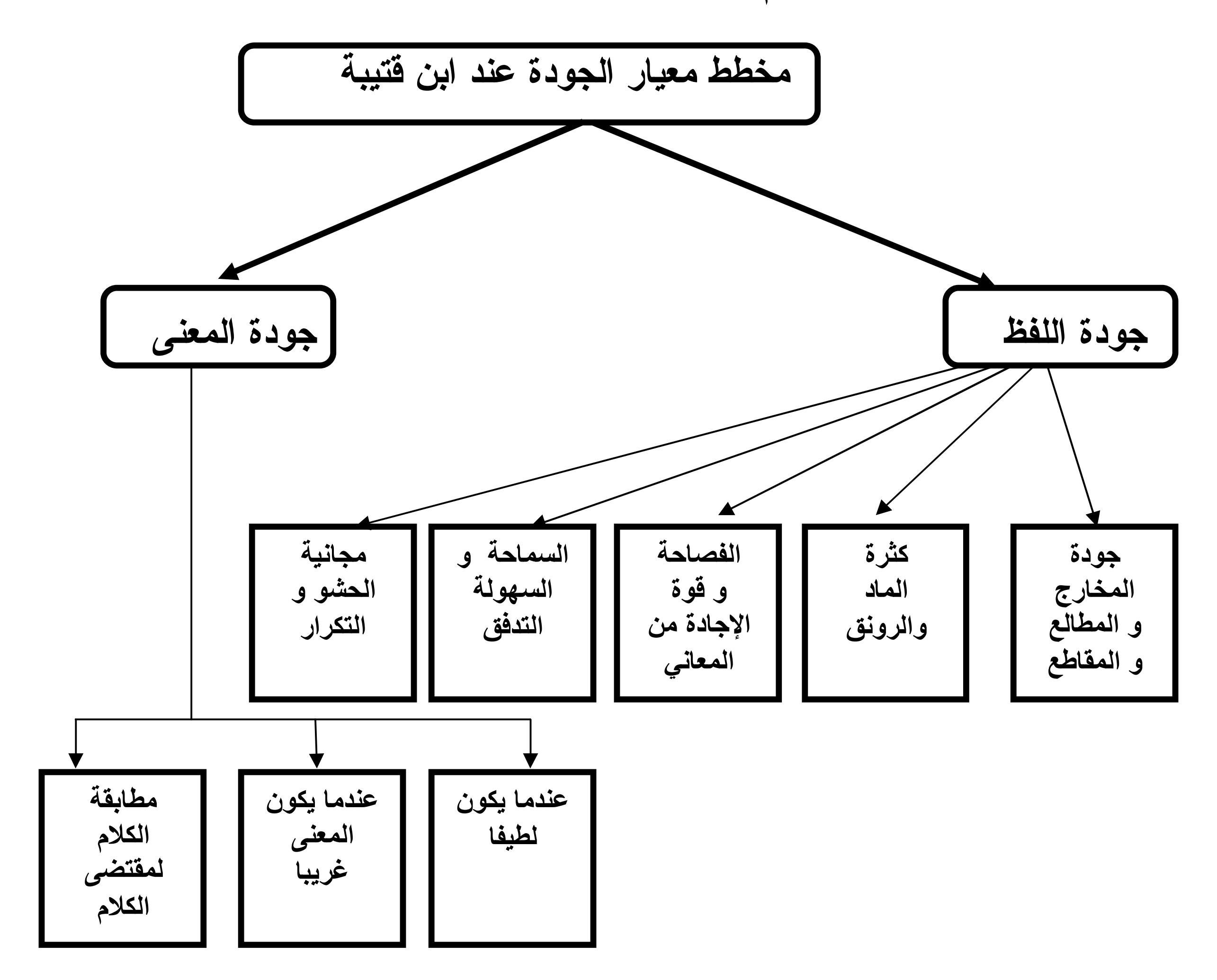
و من هنا نستخلص بأن هذه المعايير و المقاييس التي ارتكز عليها ابن قتيبة في اختياره للشعر غير عامل الجودة في الألفاظ، و المعاني التي أصبحت تشكل جوهر العلمية الإبداعية على المستوى الداخلي على خلاف معيار الزمن و الكثيرة التي تعني بالجانب الخارجي – السياقي –

---

[1] -نفسه : ص70

[2] - نفسه : ص 71-72

الشكل الرقم 03 : مخطط معيار الجودة عند ابن قتيبة



معيار الجودة عند قدامة بن جعفر (ت 2337)

تعدّ مسألة الجودة من المسائل الكبيرة، والمهمة التي شغلت النقاد القدامى ولعل أبرز هؤلاء النقاد نجد قدامة بن جعفر الذي أولاها عناية كبيرة وذلك من خلال كتابه نقد الشعر، عندما تحدث عن: «**صفات الشعر التي تبلغه غاية الجودة، فإن وجد بضد هذا الحال كان شعرا في غاية الرداءة، وإلا فهو بين طرفي الجودة والرداءة بحسب مدى قربه من أيّ الطرفين أو توسطه بينهما**».

يعرّف قُدامة الشعر بأنّه «**قولٌ موزونْ مقفى دالٌّ على معنى**»[1] ، وعلى ذلك فإنّ الشعر عنده يتألف من أربعة أشياء: اللفظ والوزن والقافية والمعنى، وكلّ واحد منْ هذه الأشياء الأربعة قد يكون جيدا وقد يكون رديئا، يقول الدكتور عيسى علي العاكوب في هذا: «**يقتضي الكلام على الشعر من جهة جيّده ورديئة الكلام على أسبابه المفردة الأربعة: القول والوزن والقافية والمعنى، وعلى أسباب أربعة مؤلفة، مصْدَرُها ائتلاف واحد من الأسباب المفردة مع آخر. وقد استبَان قُدامة أنّ الأسباب الأرْبعَة المُؤَلفة هي: ائتلاف اللفظ مع المعنى، وائتلاف اللفظ مع الوزن، وائتلاف المعنى مع الوزن، وائتلاف المعنى مع القافية، وقد اجْتمَع من ذلك كلّه ثمانيّة أسباب أو مكونات رئيسة للشعر**»[2].

وأوصاف الشعر التي حدّدها قدامة (غاية الجودة، غاية الرداءة، والأوساط بين الجودة والرداءة) تدلُ على أنّ غاية الجودة بمعنى عندما يكون كلّ من الأسبابِ الثمانيّة في غاية التجويدِ، وغاية الرداءة حين يكون كلّ سبب مِنَ الأسباب الثمانية في غاية الضّعف، وأشعار وسط بين الجودة والرداءة يقول قدامة «**فما كان فيه من العيوب أكثر كان إلى الرّداءة أقرب، وما تكافأت فيه النعوت والعيوب كان وسطا بين المدح والذم**»[3]، ونجد قدامة قد استمدّ هذه الفكرة من افتراضه أنّ الشعر صناعّة من الصناعات حيث يرى قدامة «**والشّعر صنّاعة كسائّر الصناعات ولذلك فلَه طَرفَان: أحدُهما غاية الجودة، والآخر**

---

[1] نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)،(د،ت)، ص :64

[2] التفكير النقدي عند العرب، د. عيسى علي العاكوب، ص: 206.

[3] نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص:65

غاية الرّداءة، وحدود بينهما تسمى الوسائط، وكل قاصد لشيء من ذلك فإنّما يقصد الطّرف الأجوّد، فإن كان معه من القوّة في الصناعة ما يبلغه في القرب من تلك الغاية والبعد عنها، وكذلك الشعر لأنه جار على سبيل بسائر الصناعات فمن استطاع أن يصل إلى غاية التجويد فذلك هو الشعر الجيّد ومن عجز عن ذلك كان ضعيفا في صناعته، ولكي يستطيع أن يضع الشعر في موضعه من الجودة والرّداءة تحدث عن أسباب الجودة وأحوالها، فإذا حاز أوصاف الجودة وأحوالها وعن الرداءة وأحوالها، فإذا حاز أوصاف الجودة في الشعر كان في نهاية الجودة وإذا اجتمعت فيه أوصاف الرداءة كان في نهاية الرداءة»[1].

الجودة في الأسباب الأربعة المفردة لمكونة للشعر عند قدامة

1) **جودة اللفظ:** وضع قدامة معايير لتلقي اللفظ الشعري من حيث استحسانه أو استهجانه، فطرح شروط تقتضي جودته في القيمة الشعرية بقوله «**أن يكون سمحًا، سهل مخارج الحروف من مواضعها، عليه رونْق الفصاحة، مع الخلوّ من البشاعة**»[2]، ويمكن أن نلخص نتائج معياريّة اللفظ الشّعري:

أ–ضرورة وجوب سلامة اللفظ من حيث الشّكل اللغوي والنحوّي (النّظم الصحيح).

ب–أن يكون مألوفا مأنوسا في الاستعمال الشعري (البعد عن التعقيد اللفظي والمعنوي).

ج– يأتي وفق الأوزان المضطرة والمألوفة عند العرب (النسق الإيقاعي الصحيح).

د– سُهولة النُطق في مخارِج حروفه وكلماته بما يُحتّم الفصاحة المفردة والتركيب وهذا الاتجاه في الحكم على الشعر من حيث مكوناته اللفظيّة أمرٌ مقبولٌ وغاية في الجودة؛ لأنّ الشعر يحدث تأثيره بمجموعة ألفاظ تراكبية، فضلا عن أن اللفظة المفردة لا يظهر جمالها وحدها خارج الصياغة الشعرية، وإنّما يتجلى هذا الجمال في حسن مَوقعها، وبعد تناسقها والتئامها مع سوابقها ولواحقها من ألفاظ التركيب، وهذا المعيّار دلالة على اهتمام قدامة باللفظ الشعري لا باعتباره مفردة / كلمة، وإنّما بمقصوده صياغة / كامل النظم، ليجد مردوده الجيّد لدى المتلقّي، سواء كان قارئا أو سامعا أو ناقدًا، فنجد قدامة يلاقي مع

[1] المرجع السابق، ص: 64 - 65

[2] نفسه، ص: 74

الجاحظ في ذهابه إلى أنّ «**أجود الشّعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنّه قد أفرغ إفراغًا واحدا، وسبك سبكًا واحدا، ولهذا ترى حروف الكلام، وأجزاء البيت من الشعر متفقة ملسًا، ولينة المعاطف سهلة...، حتى كأنّ البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كأنً الكلمة بأسرها حرف واحد**»[11] فقدامة في تأهيله لهذا المعيار لتلقي الشعر يتوازى مع العديد من الاتجاهات النقديّة التي عُنيت بِخواص الطبيعة الشعرية وميزاتها النوعية، ومن ثَم اعتمد ذلك من معايير نقده وتلقيه للشعر الجيّد.

ولَعل أبرز مثال لشواهد في حسن اللفظ لا تخلو من الألفاظ الغريبة أو الحوشية كقول عبد الله بن محمد السّلاماني:

«ألا ربّما هاجت لك الشوق عرضــةٌ بمران تمر بها الرياح الزّعــازعُ

بهـــا رسْـــــمُ أطلال وجثمٌ خواشـــعُ عليهنَّ تبكي الهاتفات السّواجــعُ

وبيض تهادي في الرّياط كأنّهـــــا مها ربوة طابت لهنّ المراتّـــعُ

-ثم يقول وكلّها ألفاظ غريبة وحشية:

تحرّين منّا موعداً بعد رقبةٍ بأعقرَ تعلوه السُّروج الدَّوافــــعُ

فجئن هدوّاً والثيابُ كأنّهـــا من الطّل بلّتها الرِهام النواشِع»[2]

2)**الوزن بين الجودة والرداءة:** يسعى قدامة بن جعفر من خلال هذا المعيار إلى تأصيل قواعد في الوزن من خلال أمرين:

أ- أن يكون سهل العروض

ب-أن يكون مرصعًا ونقصد بالترصيع وهو أن تُماثل قافية البيت الأول عروضه يقول قدامة بن جعفر في هذا :«**أن يكون سَهل العروض وفيه ترصيع**»[3] والمقصود بالترصيع بقول قدامة «**وهو أنْ يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد في التصريف كما يوجد ذلك في أشعار كثيرة من القدماء المجيّدين ت-من الفُحول وغيرهم وفي أشعار المحدثين المحسنين**[4]».

ولعل أبرز مثال للوزن الجيّد نجده في أبيات المنخّل بن عبيد البشكريٌّ:

---

[1]البيان والتبيين، الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر)، تح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 7، 1419ه – 1998م، ص 67:

[2]- تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، د. محمد زغلول سلام، الناشر المعارف الإسكندرية، (د، ط)، (د، ت)، ص 201 – 202

[3]- نقد الشعر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر، ص 79 - 80

[4] نفسه، ص: 79

«ولقد دخلتُ على الفتا و الخِدرَ في اليوم المطـــيــر
الكاعب الحسناء تــَــر فُلُ في الدّمقس وفي الحريـــر

ومما جاد وزنه لما في من (الترصيع) قول أبي صخر الهُذَليُّ:

وتلك هيكلةٌ، خودٌ مبتّلـــــة صفراءُ رَعْبلةٌ، فـــــي منصب سنـــــــم
عذب مُقبّلها، حبْلٌ مخَلْخَلُهاَ كالدِّعص أسفلُها، محصورة القـــــــــدم
سودٌ ذوائبها، بيضٌ ترائبُها محض ضرائبها، صيغتْ على الكـــــرم»[1]

3) **جودة القوافي:** يقول قدامة «أَنْ تكون عذبة الحرف سلسة المخرج، وأن تبدأ القصيدة بالتصريع، فإنّ الفحول المجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخون ذلك، ولا يكادون يعدلون عنه، وربما صرعوا أبياتا آخر من القصيدة»، ويعتبر كثرة التصريع في القصيدة من اقتدار الشاعر وسعة بحره، ومما جاد من القوافي، لأنّ الشّاعر (صرّع) في البيت الأول، ثم صرّع أبياتا أخرى بعده، قول امرئ القيس:

«قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل يسقط اللّوي بين الدّخول فحومل

ثم قال بعد أبيات:

أفاطمُ مهلاً بعض هذا التدلّل إن كنتِ قد أزمعتِ صَرْمي فأجملي

حتى إذا أتى بأبيات بعد هذا البيت قال:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل»[2]

4) **جودة المعاني:** إنّ أهمّ ما يطلبه قدامة من المعنى هو أن يكون مواجهًا للغرض المقصود غير عادل عن الأمر المطلوب، وذلك أمر يرجع إلى كيفيّة أداء المعنى وصورته، فقد يصعب حصر أقسام المعنى، أو تعداد أوجه المعاني، ومع ذلك يذهب قدامة وفق اقترانه بالمنطق العقلي الذي يحاول أن يطبق مقايّيسه على الشعر، إلى اختزال المعاني الشعرية في ستة أغراض هي: المديح، والهجاء، والرثاء، والنسيب، والوصف، والتشبيه.

ويولي دورانها في النسق الشعري حيال موضوعين أساسين لا ينفصلان، هما الإنسان والطبيعة، بمعنى أن أغراض الشعر إما أن تصف عناصر الطبيعة، وإما تصور الإنسان

[1]- التفكير النقدي عند العرب، د. عيسى علي العاكوب، ص :218 - 219
[2]- نفسه، ص: 219

في أفعاله المتباينة، أو حالاته، المتعددة مدحًا، أو هجاءً، أو رثاءً، والمعوّل، في الحكم بالجودة، والرّداءة، وهو صياغة المعنى، أو صورته.

وقدامة يريد من الشاعر حالة تناوله غرضا من الأغراض أن يقصر كلامه فيه، ولا يخرج عنه إلى غيره، وكأنه يشير من طرف خفي إلى وجوب وحدة المعاني في الغرض الشعري الواحد، ولا يرتضيه هذا التنقل بين الأغراض، وأخذ يفصل ذلك من خلال نعوت المعاني التي وضعها معايير، لتحقق مبدأ الجودة في الشعر، أو إعلاء قيمته الشّعرية، فكان منها الغلوّ والمبالغة والتتميم والتكافؤ والالتفاتات والاستغراب والطرافة وصحة التقسيم وصحة المقابلات وصحة التفسير، جاعلا لكل منها حداً في المقصد والدلالة، وهي في ذاتها معايير داخليّة، ضمن بنيات الشعر في تلقي النص الشعري والحكم عليه وفق الإصابة من هذه المعايير ومدى تحقيقها في نطاق القصيدة الشعرية، والالتزام بها من منطلق الفكر النقدي لديه المبني على منطقية الشعر في أغلب الأحيان.

جودة المعاني من جهة صلتها بالأغراض الشعرية:

1- **جودة المدح:** أن يمدح الإنسان بما يكون له وفيه، وهي جمالية استقاها قدامة من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وصف زهير «**لم يكن يمدح الرجل إلا بما يكون للرجال**»[1].

أن يمدح الرجال بأربع صفات هي العقل والشّجاعة والعدل والعفّة يقول في هذا قدامة :«**فضائل النّاس، من حيث إنّهم ناس، لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان، على ما عليه أهل الألباب، من الاتفاق في ذلك، إنّما هي: العقل والشّجاعة والعدل والعفّة**»[2].

يكون المدح تبعا لأصناف الممدوحين ومطابقا لهم، فلمدح الملوك معانٍ خاصة به، ولمدح ذوي الصّناعات معانٍ خاصة بهم، ولمدح القواد معان, ولمدح الشوقة معان.

ومن جيّد المدح قول محمد بن زياد الحارثي:

«تخالُهم للحِلم صمّا عن الخنا وخُرشا عن الفحشاء عند التهاجُر

---

[1] نقد الشعر، لأبي فرج قدامة بن جعفر، ص :95

[2] نفسه ، ص: 96

ومـــــــرضى إذا لاقوا حياءٌ وعفّة وعند الحفـــــاظ كالليوثِ الخـــــــــــــوادر

لهـــــم ذلٌّ أنصافِ ولين تواضعٍ ومـــــــن عزّهم ذلّت رقابُ المعاشــــر

كــأنّ بهــم وصمًا يخافون عارهُ وليــس بهـــــــم إلاّ اتّقــــــــاء المعايــــــر»[3]

ومن جيّد مدح الملوك خاصة قول نُصَيب بن رباح في سليمان بن عبد الملك:

«أقـــــول لـركب قافلين لقيتُهــــــم قفـــا ذات أوشـــــالِ ومـــــولاك قـــاربُ

قفوا خبروني عن سليمان إنّني لمعـــــــــروفه مـــــن أهــل ودّان طالـــبُ

فعاجـــوا فأثنوا بالذي أنت أهـــلــــه ولـــو سكتــــوا أثْنت عليك الحقـــــائــبُ

هو البدرُ والناسُ الكواكبُ حولـــهُ وهــل يشبه البدر المضيّء الكواكبُ»[4]

ومن جيّد مدح ذوي الصناعات كالوزير والنائب ما كان مثل قول منصور النّمري

وليس لأعباء الأمور إذا اعتــرتْ بِمكْتَرث، لكنّ لهنّ صبورُ

يُرى ساكن الأوصالِ باسط وجهه يُريكَ الهُوَينا والأمور تطيرُ

2- جودة الهجاء: يقول قدامة «**إذا كان الهجاء ضد المديح فكلما كثرت أضداد المديح في الشعر كان أهجى له ثم تنزل الطبقات على مقدار قلة الأهاجي فيها وكثرتها، فمن الهجاء المقنع الموجع ما أنشدناه أحمد بن يحي:**

كاثـــر بسعــــــــــد إنّ سِعـــــــــــدا كثيـــــــــرة ولا تبْـــغِ مــــــن سعد وفاء ولا نصرا

ولا تَدْعُ سعدا للقـــــــــــراع وحلّهـــــــــــــــــا إذا أمنت من روعهــــا البلـــــد القفرا

---

[3] نفسه، ص: 104

[4] المرجع السابق، ص: 107

يروعك من سعدين عمرو جسومهـــــــا وتــــزهـــــــد فيهـــــا حيـــــــن تقتـــلها خيـــرا»[1]

3- **جودة المراثي:** لا يرى قدامة فصلا بين المرثيّة والمدحة سوى ما يدل به في المرثيّة على أنّ الشعر في هالك مثل قولهم (كان) و(تولّى) و(قضى نحبُه) وذلك لأنّ «**تأبين الميِّت إنّما هو بمثل ما كان يمدح به في حياته**»[2].

وقد يومأ إلى الرثاء بأنّ يقال مثلا (ذهب الجود) أو (من للجود بعده) أو (تولّى الجود)، قد يرثي الشاعر بذكر بكاء الأشياء التي كان المتوفى يحسن إليها في حياته، وسرور الأشياء التي كان يتبعها «**فإنّما يجب أن يبكي على الميِّت ما كان يوصف إذا وُصف في حياته بإغاثَته والإحسان إليهِ**»[3].

وقد يأتي الشاعر على ذكر كل الفضائل، وقد يركز في وصف فضيلة واحدة وكلما تشابهت المرثيّة مع المدح كان ذلك أفضل وأحسن في معانيها.

ومثال عن المراثي الجيّدة قول كعب بن سعد يرثي أخاه:

«لعمري لئـــــن كانت أصـــــــــابت منيــــــــّة أخـــــي، والمنايا للـــــرّجال شعـــــــــوب

لقـــــــــــد كـــــــان أمـــــــا حِلمه فمـــــــــــــروِّح عـــلينـــــا، وأمّـــــا جهلـــــــــــــه فـــعزيــــــــب

أخي ما أخي، لا فاحش عند بيتــــــه ولا ورع عنـــــــــــد اللقـــــــاء هيـــــــــــوب»[1].

4- **جودة التشبيه:** يعتبر قدامة التشبيه أحد الأغراض المهمة التي يتداولها الشعراء إذ يرى التشبيه يقع بين «**شيئين بينهما اشتراك في معان تعمها، ويوصفان بها وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منها بصفتها**»[2].

يحسن التشبيه حين يكون بين المتشابهين من وجوه الاشتراك أكثرها يكون بينهما من وجوه الانفراد.

---

[1] نفسه، ص: 112
[2] نفسه، ص 118
[3] نفسه، ص 119
[1]- المرجع السابق، ص 120
[2]- نفسه، ص 124

«ومن التصرفات التي تحسِّن التشبيه:

1- **جمع التشبيهات الكثيرة في بيت واحد.**

2- **تشبيه شيء واحد بأشياء في بيت أو تعبير قصير.**

3- **تشبيه شيء في تصرّف أحواله بأشياء تشبهه في تلك الأحوال.**

4- **سلوك الشاعر في تشبيه شيء بشيء مذهبا جديدا لم يقع للشعراء من قبل»**[1].

ومثال على التشبيه الجيّد قول يزيد بن عوف العُليمي يذكر صوت جرع رجل اللبن:

«فغبّ دخالاً جرْعهُ متواترٌ كَوقْعِ السّحاب بالطِّراف المُمَدّد

ومن ذلك قول أوس بن حجر يشبِّه ارتفاع أصوات قومه في الحرب تارة وتوقفها تارة أخرى، بصوت المرأة التي تجاهد أمر الولادة:

لنا صَرْخَةَ ثم إسكاته كما طرّقت بِنفاسِ بِكر»[2].

5- **جودة الوصف:** يَقُول قدامة في ذلك «**إنّما هو ذكر الشَيء كمَا فيه من الأحوال والهيئات»**[3].

ويحسن الوصف كلّما أَكْثر الشَاعر لقَول قُدامة «**ولما كان أكثر وصف الشعراء إنّما يَقعُ على الأشْياءَ المركبة من ضروبِ المَعانِي كانَ أحْسَنُهم من أتَى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها، ثم بأظهرها فيه وأولاها حتى يحكمه بشعره ويمثله للحسن بنعته»**[4]، ومثال على الوصف الجيّد قول عَدِيٍّ بن الرّقاع العَاملي يصف الغبار الذي تثيره سَنَابِكُ حِمَارينِ وحشِيَين عند عدوِّهما:

«يَتعَاورَان مِنَ الغُبَار مُلاءةً غَبرَاء محكمة هما نساجها

تَطْوي إذا عَلَوا مكانا ناشِراً وإذا السنابك أسهلت نشراها

ومنه قول ذي الرّمة:

ترى الخُودَ يكرهْنَ الرّياح إذا جرَتْ وميٌّ بها لولا التَّحرُّج تفرحُ

إذا ضَرَبَتْهَا الرّيح في المِرْط أشرفت روافدها وانْضَم منهَا الموَّشَحُ»[5]

---

[1]- التفكير النقدي عند العرب، د. عيسى علي العاكوب ،ص:210

[2]- نقد الشعر، لأبي فرج قدامة بن جعفر، ص 124 - 125

[3]- نفسه، ص 130.

[4]- المرجع السابق،ص:130

[5]- نفسه، ص: 132 - 133

6- **جودة النسيبُ:** ويقصد قدامة بالنسيب: «**إنّ النسيب ذكر خلق النساء وأخلاقهن وتصرّف أحوال الهوى به معهن**»[1].

والفرق بين النسِيب والغزلِ يقول قُدامة: «**والفَرقُ بينهما إنّ الغزل هو المعنى الذي إذا اعتقاده الإنسان في الصبوة إلى النساء نسب بهن من أجله فكأنّ النسيب ذكر الغزل، والغزل المعنى نفسه والغزل إنّما هو التَّصَابي والاستهتار بمؤدات النساء**»[2]، وخير النسيب ما أفصح فيه الشاعر عن تمالك الصبابة والشوق وباح فيه عن إفراط في الوجد واللوعة، وأظهر فيه هيامه وحبه بالمحبوب وانقياده التام له بقول قدامة: «**فإنّ النسيب الذي يتمّ به الغرض هو ما كَثُرتْ فيه الأدلّة على المتمالك في الصبابة، وتظاهرت فيه الشواهد على إفراط الوجد واللوعة، وما كان فيه من التّصَابي والرِّقة أكثر هَمسًا يكون من الخُشْن والجلادة، ومن الخشوع والذلّة أكثر ما يكون فيه من الإباءِ والعزِّ**»[3].

ويَدخُل في معانِ النَسيب أيضًا كل ما يذكر بالأحبّة ويشوِّق إليهم من ديّار وريّاح وبروق وحمائم وخيالات، ومثال على ذلك قول أبي صخر الهذليّ:

«أمـــــــــا والذي أبكى وأضحك والــذي أمات وأحيا والذي أَمْرُهُ الأمـــــرُ

لقد كُنْتُ أتيها وفي النفس هَجرُها بتاتاً لأخرى الدهرُ ما طلع الفجرُ

فمَا هو إلاّ أن أراها فجــــــــاءة فَأَبْهتْ لا عرفٌ لديّ ولا نكـــــرُ

وأنسى الذي قد كنت فيه هجرتها كما قد تنسي لبّ شاربها الخمرُ»[4]

ثانيا: الجودة في الأسباب الأربعة

1) **جودة ائتلاف اللفظ مع المعنى:** ومن صور الجودة في ذلك:

1- المساواة: «**وهو أن يكون الفظ مساويا للمعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه، وهذه هي البلاغة التي وصف بها بعض الكتّاب رجلا، فقال: كانت ألفاظه قوالب لمعانيه، وذلك مثل قول امرئ القيس:**

فإن تكتموا الدّاء لا تَخْفِه وإن تبعثوا الحرب لا تفقدِ

---

[1]- نفسه، ص: 134

[2]- نفسه، ص: 134

[3]- المرجع السابق، ص 134

[4]- نفسه، ص 137

وإن تقتلونا نقتلكُـــــم وإن تقصدوا الدّم لا نصدِ»[1]

2- الإشارة: «وهو أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معانٍ كثيرة بإيماء إليها أو لمحة تدلّ عليها كما قال بعضهم وقد وصف البلاغة فقال: هي لمحة دالة، ومثل ذلك قول امرئ القيس:

فإن تهلك شنوءة أو تبدّل فسيرى، إنّ في عسّان خالا

بعزّهم عززْتِ وإن يذلّـوا فذلّهم أنا لك ما أنـــا لا»[2]

3- **الإرداف: «وهو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل بلفظ يدلّ على معنى هو ردفه وتابع له، فإذا دلّ على التابع أبان عن المتبوع، بمنزله قول الشاعر:**

بعيدة مَهوَى القرط إما لنَوْفل أبوها وإما عبدُ شمس فهاشمُ»[3]

فمن خلال هذا البيت نجد أن الشاعر يصف الطول الجيّد فلم يذكره بلفظه الحقيقي وإنّما أتى بمعنى تابع لطول الجيّد وهو بعد مهوى القرط ويسمى البلاغيون هذا بـــ (الكناية).

4- **التمثيل: «وهو أن يريد الشاعر بإشارة إلى معنى فيضع كلاما يدل على معنى آخر وذلك المعنى الآخر والكلام ينبئان عما أراد أن يشير إليه.**

ومثال ذلك قول الرماح بن ميادة:

ألم تكُ في يُمنىَ يديك جعلتني فلا تجعلني بعدها في شمــــالك

ولو أنّني أذنبت ما كنت هالكاً على خَصْلةٍ من صالحات خصالكا»[4]

ومعناه أن يقدم الشاعر معناه بطريقة (ضرب المثل).

5- **المطابق والمجانس: «ومعناهما أن تكون في الشعر معان متغايرة قد اشتركت في لفظة واحدة وألفاظ متجانسة مشتقّة، فأمّا المطابق فهو ما يشترك في لفظة واحدة بعينها مثل قول زياد الأعجم:**

ونبئتهم يستنصرون بكامل واللؤم فيها كامل وسنام

---

[1]- المرجع السابق ، ص :153

[2]- نفسه، ص :154 - 155

[3]- نفسه، ص: 158

[4]- نفسه، ص:160

وأما المجانس فأن تكون المعاني اشتراكها في ألفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق، مثل قول زهير:

كأنّ عيني وقد سال السليل بهم وجيرة ماؤهم لو أنّهم أمم»[1]

2) **الجودة في ائتلاف اللفظ والوزن:** ومن صور هذه الجودة:

1- أن يستخدم الشاعر الأسماء والأفعال تامة مستقيمة لا زيادة ولا نقصان فيها.

2- ألا يدفع الوزن الشاعر إلى تقديم ماحقة التأخير أو التأخير ماحقة التقديم.

3- ألا يدفع الوزن الشاعر إلى إدخال معنى ليس بالكلام حاجة إليه، ولا إلى إسقاط معنى لا يتم الغرض من دونه.

3) الجودة في ائتلاف المعنى والوزن: وتتحقق بما يأتي:

1- أن تكون المعاني تامة مستوفاة لم تدفع الضرورة إلى نقصها وزيادتها.

2- أن تكون المعاني في صميم الغرض الذي أراد الشاعر، ولم تعدلها الضرورة.

4) الجودة في ائتلاف القافية مع دلالة سائر البيت: **«وهو أن تكون القافية متعلقة بما تقدم من معنى البيت تعلق نظم له وملائمة لما مر فيه».[2]**

وصور الجودة هنا:

أ- التوشيح: «وهو أن يكون أولا البيت شاهدا بقافيته ومعناها متعلقا به حتى إن الذي يعرف قافية القصيدة التي البيت منها إذا سمح أول البيت عرف آخره، وبانت له قافيته. مثال ذلك قول الراعي:

وأن وزن الحصى فوزنت قومي وجدت حصى ضريتهم رزينا»[3]

ب- الإيغال: "وهو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاما من غير أن يكون للقافية في ما ذكره صنع ثم يأتي بها لحاجة الشعر فيزيد بمعناها في تجويد ما ذكره من المعنى في البيت كما قال امرئ القيس:

كأنّ عيون الوحش حول خبائنِا وأرحلنا الجَزْعِ الذي لم يشقب."[4]

الجودة عند ابن سلام الجمحي

1 - المرجع السابق، ص: 163

2- نفسه، ص: 167

3- نفسه، ص: 167

4- المرجع السابق، ص:168

يعتبر ابن سلام من النقاد الذين أولو لمعيار الجودة العناية الكبيرة في ترتيبه الطبقي فالشاعر المكثر المجيد عند ابن سلام مقدم على الشاعر المقل المجيد، و المكثر المجيد المتعدد الأغراض مقدم على المكثر المجيد الذي لم تقل في غرض أو اثنين. أما كثرة الشعر و تنوع أغراضه فإنهما لا يقدمان الشاعر إذا كان شعره رديئا لأن معيار الجودة يحتم تقديم المجيد على غيره من الشعراء حتى و لو سلك أغراضا عديدة في الشعر. هذا حكم ابن سلام و عليه فما هي أسس الجودة التي حكم بها ؟ فهو يقول مثلا: « **و كان الأسود شاعرا فحلا و كان يكثر التنقل في العرب يجاورهم، فيذم و يحمد، وله في ذلك أشعار، وله واحدة رائعة طويلة، لاحقة بأجود الشعر، لو كان شفعها بمثلها قدمناه على مرتبته** »[1].و يقول أيضا في حسان بن ثابت « **أشعرهم حسان بن ثابت .... وهو كثير الشعر جيده** »[2] و بسبب الجودة وضعه ابن سلام على رأس فحول شعراء القرى العربية. و يقول أيضا « **كان قراد بن حنش من شعراء غطفان وكان قليل الشعر جيده**»[3] و من أجل هذا جعله في ذيل الطبقة الثامنة من الشعراء الإسلاميين.

و الجودة عند ابن سلام هي من المعايير الأساسية للحكم على الشعر و الشعراء إضافة إلى معياري الكثرة و تعدد الأغراض الشعرية و من خلال هذا كله نجد أن ابن سلام اعتمد على معايير فاضل من خلالها بين الشعراء و التي استقاها من نقاد و على رأسهم الأصمعي.

و هذا باختصار عن معيار الجودة لدى ابن سلام و الذي سنعود إليه و نوفيه حقه في الدراسات القادمة و قبل هذا سنحاول تقديم لمحة موجزة عن حياة ابن سلام الجمحي.

---

[1] - طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تح: محمود محمد شاكر، الناشر دار المدني جدة (د-ط)، (د-ت)، ج :1 ص: 147

[2] - نفسه، ج : 1، ص:215

[3] - نفسه، ج : 2، ص: 733

خلاصة الفصل

ومن هنا نستنتج بأن النقد هو ممارسة عرفها الشعراء منذ العصر الجاهلي, إذ كان ينبني على أحكام جزئية انطباعية لم تكن مفهومة إلا لدى صاحبها, و هذه الأحكام كانت تهتم بالنتاج الجيّد لدى الشاعر حتى ينال أعلى المراتب و الدرجات, فإتخد من الجودة المقياس الذي يبني عليه أحكامه. واستمر ذلك الأمر إلى غاية نهاية القرن الثاني للهجري وبداية القرن الثالث هجري.

حيث ذهب النقاد الأوائل يضعون أسس منهجية قوامها الجودة في تصنيف الشعر و الشعراء إلى مراتب و درجات, و ذهب كل ناقد يضع قوالب خاصة به لمفهوم الجودة وأسسها ومعاييره اللحكم على الشعراء.

الفصل الثاني
الجانب التطبيقي

المبحث الأول: لمحة موجزة عن الكاتب و كتابه

مط 1: لمحة موجزة عن حياة محمد ابن سلام الجمحي

مط 2: أهمية أبن سلام و مكانته

مط 3: كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي

مط 4: المأخذ التي أخذت على الكتاب

المبحث الثاني: الجودة و تجلياتها في كتاب طبقات فحول الشعراء

مط 1: مظهر الجودة عند الشعراء الجاهليين

مط 2: مظهر الجودة عند الشعراء الإسلاميين

خلاصة الفصل

لمحة موجزة عن الكاتب و كتابه

لمحة موجزة عن حياة محمد ابن سلام الجمحي

1- مولده و نشأته:

« هو أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم الجمحي البصيريّ، مولى قدامة بن مظعون الجمحي بالولاء، ولد بالبصرة سنة (139هـ، 756م)، وتوفي في بغداد سنة (232هـ،847م) نشأ في البصرة في بيئة علماء العربية الأوائل، وفحولها، والتقى كثيرا من علماء اللغة والنحو و رواد الأدب، والثقات، وسمع من شيوخ العلم والحديث، و الأدب و روى عنهم، فحدث عن حماد بن سلمة، و مبارك بن فضالة، وزائدة بن أبي الرقاء وأبي عوانة، والأصمعي، وأبي عبيدة... وقد اشتهر ابن سلام بسعة علمه و صدق روايته، و من روى من الثقات: أحمد بن يحيى ثعلب، وأبو يحيى ثعلب، وأبو حاتم السجستاني، وأبو الفضل الرياشي، و المازني، و الزيادي، و أحمد بن حنبل، و عبد الله بن احمد، و أبو خليفة الجمحي»[1].

2- مؤلفاته:

« ذكر بن النديم في الفهرست هذه المؤلفات لابن سلام

1-كتاب الفاصل (و رعا الفاضل) في ملح الأخبار و الأشعار

2-كتاب بيوثات العرب

3-كتاب طبقات الشعراء الجاهليين

4-كتاب طبقات الشعراء الإسلاميين

5-كتاب الحلاب و أجر الخيل

و ذكر له ياقوت الحمودي في معجم الكتاب كتابين هما:

6-كتاب في طبقات الشعر

7-غريب القرآن

8-كتاب طبقات فحول الشعراء»[2]

[1] التفكير النقدي عند العرب، د: عيسى علي العاكوب، ص: 107، 108

[2] المرجع نفسه، ص: 108

و هذا الأخير هو محل اهتمامنا من دراستنا هذه فهو يعتبر من اقدم كتب النقد الأدبي، ومؤلفه ابن سلام الجمحي من أوائل النقاد الذين اعتنوا بالشعر و الشعراء فهو أول من خص النقد الأدبي بدراسة مستقلة بعد أنّ كان جملا و فقرات متناثرة في بطون الكتب، و لقد اعتبره الدارسون أول كتاب ألف في تاريخ الأدب العربي، و لتا يكاد يغفله باحث أو دارس يؤرخ لحركة النقد العربي، و يعتبر تحقيق الأستاذ «محمود محمد شاكر» له من أوفى التحقيقات و أدقها لما بذل فيه من جهد كبير.

و يظهر ابن سلام في كتابه (طبقات فحول الشعراء) ناقدا أدبيا متميزا، أدرك منذ وقت مبكر كثيرا من أسباب الجودة و الإخفاق في الشعر العربي القديم، و تدل آراءه الخاصة المبثوثة في الكتاب على ذوق نقدي حصين، قادر على إنزال الشعراء منازلهم، و استخلاص الرائع من أشعارهم على سبيل الحجة و الدليل.

أهمية ابن سلام و مكانته

يعتبر ابن سلام الجمحي أول من نظم البحث في القضايا الأدبية و النقدية المختلفة، و عرف كيف يعرضها و يبرهن عليها و يستنبط منها الحقائق الأدبية في كتابه طبقات فحول الشعراء. و قد شارك معاصريه في كثير من الأفكار، و لكنه محصها و حققها و أضاف إليها، و صبغها بصبغة البحث العلمي و سلكها في كتاب خاص هو خلاصة ما قيل في عهده من أشعار الجاهلية، و الإسلام، فالفرق بينه و بين من عاصره كثير. حيث زاد على ما قالوا في النقد الفني و في النظر إلى الأدب، حيث أودع كل معارف عصره في النقد في كتابه الذي يعد من أسبق الكتب في ذلك المجال، فكان أول المؤلفين في النقد الأدبي، بالإضافة إلى أنه قد جمع الآراء المبعثرة التي قالها الأدباء، والعلماء، في الشعر، والشعراء، و درسها دراسة نقدية بروح عالم متاثر بطريقة عصره في الاستيعاب، والشرح و التحليل و ذكر الأساب و المسببات في كتابه طبقات فحول الشعراء الذي سنفصل الحديث عنه في الفصل الموالي.

كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام

1- التسمية:

قام محمود شاكر بتحقيق الكتاب و جعله تحت عنوان (طبقات فحول الشعراء) و قد برر ذلك بالأسباب التالية:

أ- أن اسم "طبقات الشعراء" لا يطابق موضوع كتاب ابن سلام كل المطابقة، فإنه لم يستوف فيه ذكر الشعراء بل اختار منهم عددا معلوما، و الذي أغفله من كبار الشعراء أضعاف أضعاف ما ذكره. إذن فاسم "طبقات الشعراء" « شوب فضفاض لا يطابق ما في كتابه ».

ب- لأن محمود شاكر رأى أن ابن سلام قد أوجد اللفظ المطابق لمعنى ما أراد في كتابه، فهو يقول « **فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرا** »[1].
و هذه كلمة دالة، و هي مطابقة لما فعل، فإنه وازن بين الشعراء،« فألف من تشابه شعره منهم إلى نظرائه » و « **نزلهم منازلهم** »[2] بعد الفحص و النظر و الرواية عمن مضى من أمل العلم، إلى رهط أربعة، على أنهم أشعر العرب طبقة « **فرأيت أن تسمية الكتاب باسم « طبقات فحول الشعراء » أولى و أدل من تسمية طبقات الشعراء** »[3].

ج- رأى محمود شاكر على نسخته التي نقلها بيده منذ زمن طويل عنوان طبقات فحول الشعراء، و لم يدر أكانت هذه الكلمة في الأم العتيقة، ثم نقلها كما هي، أم كتبها من عنده؟ و هو ترجح الأول، و أجهل من أن ينظر نظرا صحيحا في مثل هذا الأمر الدقيق، المحتاج إلى التمييز و البصر.

من أجل هذا لم يتردد محمود شاكر في جعل اسم كتاب **طبقات فحول الشعراء**، فإن كان هو الاسم القديم الذي سمى به ابن سلام كتابه، فذاك و إلا فإنه يراه بعد ذلك كله بأن يكون اسما للكتاب، دون الذي عرف به، يقول الدكتور عيسى علي العاكوب «**و قد أكد التسمية الأخيرة، ودافع عنها الأستاذ محمود محمد شاكر و نشر الكتاب تحت هذا العنوان** »[4]

---

[1] كتلب طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ص : 21
[2] نفسه، ص: 24
[3] نفسه ، ص: 21
[4] التفكير النقدي عند العرب، د.علي عيسى العاكوب، ص: 69

2- سبب تأليف الكتاب :

يبدو أنّ ابن سلام أراد أن يقدم لأهل العلم كتابا يتضمن حصيلة معرفية لا يستغني عنها من أراد الإلمام بشيء من أمر العرب، من جهة شعرهم وشجاعتهم وسيادتهم وأيامهم، و غيل هذا الكتاب جزء من المشروع. يقول في مقدمة الطبقات: « **ذكرنا العرب و أشعارها، المشهورة المعروفين من شعرائها وفرسانها وأشرافها وأيامها، فاقتصرنا من ذلك ما لا يجهله عالم، و لا يستغني عن علمه ناظر في أمر العرب، فبدأنا بالشعر، ففضلنا الشعراء من أهل الجاهلية و الإسلام، والمخضرمين الذين كانوا في الجاهلية و أدركوا الإسلام، فنزلناهم منازلهم و احتججنا لكل شاعر و جدنا له من حجة، وما قال فيه العلماء**»[1].

3- ماهية الكتاب :

إن المتأمل لكتاب طبقات فحول الشعراء نجد أن ابن سلام قسم كتابه إلى قسمين رئيسيين: المقدمة و المتن و نجد أن الرجل أراد في المقدمة أن يحدد المؤثرات العامة و الخاصة التي يؤثر في الأحكام النقدية على أشعر الشعراء. أما المتن فقد خصه لتفصيل القول في طبقات الشعراء، جاهلين و إسلاميين.

ـــ افتتح ابن سلام كتابه بمقدمة قيمة تعكس أهمية الكتاب، وغايته، ومنهجه، أما أهمية الكتاب فتتحلى في عدة أمور: اهتمامه بالشعر العربي القديم، وحيوات قائلية وأحالهم، يقول: "ذكرنا العرب وأشعارهم، والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانها ، وأشرافها وأيامها، إذ كان لا يحاط بالشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب وكذلك فرسانها وسادتها وأيامها، فاقتصرنا من ذلك على ما لا يجهله عالم، ولا يستغني عن عمله ناظر في أمر العرب، فبدأنا بالشعر."

و هو في عمله هذا لا يهدف إلى جمع أشعار القدماء و الحديث عن أخبارهم و أيامهم فحسب، بل إن هدفه الرئيس هو تخليص ذلك الشعر مما علق به من شوائب وما أضيف عليه من منوع مفتعل، ثم التنبيه على مكانة كل شاعر ومنزلته بين شعراء عصره و لكي يحقق ابن سلام هذه الغاية تراه قد استعرض معظم المقاييس النقدية التي كانت سائدة في عصره ثم حدد بعض الشوائب التي

[1] طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي ،جزء1، ص: 23-24

سيأخذها من ذلك ما نراه من رفضه، الأخذ بما ورد في بطون الكتب من أشعارها يقول: وقد تداولهم قوم ــ أي شعر ــ من كتاب لم يأخذوه عن أهل البادية، و لم يعرضوه على العلماء، و ليس إذا أجمع أهل العلم و الرواية الصحيحة على إبطال شيء منه. أن يقبل من صحيفة، ولا يروي عن صحفي " ومنها ما نراها من التزامه برأي الجماعة حين يقول " و قد اختلفت العلماء بعد في بعض الشعر، كما اختلفت في سائر الاشياء، فأماما اتفقوا عليه، فليس لأحد أن يخرج منه ". ثم تحدث عن أهمية عمل الناقد و ما ينبغي أن يتزود به من صنوف العلم و الثقافة، إضافة إلى الذوق و الفطرة، و الدربة و الممارسة، و ذلك لكي يتمكن من القيام بالمهام الملقات على عاتقه و التي منه اضافة الى تمييز الجيد من الرديء، تلخيص ذلك الشعر ..... من مصنوع و في مقدمة كتابه تحث أيضا عن الكثير من الأمور التي تتعلق بالشعر وبداياته وبعض ما أصابه من عيوب وآفات تتعلق بالنشأة الأولى وتدلل عليها و أبرز أخبار الشعر والشعراء، وما طرأ على الشعر في الإسلام... وكذلك اللغة العربية وأول ما تحدث بها، والنحو العربي ونشأة مباحث و تطورها...، وقبل أن يشرع في بناء طبقاته حدد المنهج الذي سيسير عليه بقوله: "... فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرا، فألفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه فوجدناهم عشر طبقات، أربعة رهط كل طبقة متكافئين معندلين "و قال في موضع آخر" ثم اقتصرنا ــ بعد الفحص والنظر والرواية عمن مضى من أهل العلم. إلى رهط أربعة، اجتمعوا على أنهم أشعر العرب طبقة، ثم اختلفوا بعد. وسنسوق اختلافهم واتفاقهم، ونسمي الاربعة.

4- **القضايا النقدية التي تناولها ابن سلام في كتابه**

أولا: قضية الانتحال:

تعد قضية الشعر الموضوع أبرز القضايا النقدية التي عالجها ابن سلام في كتابه، وهو أول من انتبه إلى خطورة هذه القضية في عصره، ذلك العصر الذي ازدهرت فيه حركة التدوين، حيث اهتم علماء العربية بجمع العلوم والمعارف العربية والإسلامية من أفواه الرواة، وعكفوا على تحقيقها والتأكد من صحة روايتها وتخليصها مما علق بها من أغاليط الرواة ووضع الواضعين، وقد لاحظ

ابن سلام أنّ بعض الشعر الجاهلي قد تناقله الرواة مصنوع، واستدل على ذلك بدليلين، أولهما: عدم وجود قرينة على أنتما بعض ما يتداوله الرواة مكتوبا إلى العصر الجاهلي، فهو لم يأت مرويا عن أهل البادية، ولم يعرض على علماء العربية الثقات.

ثانيا: يعود إلى ضعف مستوى ذلك الشعر، فهو شعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لا خبر فيه، و لا حجة عربية، ولا أدب يستفاد، و لا معنى يستخرج و لا مثل يضرب، ولا مديح رائع، ولا هجاء مقنع، ولا فخر معجب ولا نسب مُسْتَطْرَفٌ.." ومن هؤلاء الرواة نجده ينتقد محمد بن إسحق صاحب السيرة ، إذ يرى أنه هجَّن الشعر وأفسده وأورد في كتابه أشعاراً لأناس لم يقولوا الشعر قط ، بل أورد أشعاراً ترجع إلى قوم عاد وثمود، قال: "كتب في السِّيَر أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط ، وأشعار النساء فضلاً عن الرجال ، ثم جاوز ذلك إلى عادٍ وثمودَ ، فكتب لهم أشعاراً كثيرة، وليس بشعر، إنَّما هو كلامٌ مؤلَّفٌ معقودٌ بقَوَافٍ"، الأمر الذى جعل ابن سلام ينفى هذا الشعر، ويرفضه مبيناً الأدلة التي تستدعى رفضه، وهى :

1 ــ **أدلة قرآنية** : وتتمثل فيما جاء في القرآن الكريم من آيات عديدة تتحدث عن الأمم السابقة وانقطاع دابر بعضها ، فالله يقول :] وأَنَّهُ أَهْلَكَ عاداً الأُولَى وثَمُودَ فَمَا أَبْقَى ويقول في عاد] فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِن بَاقِيَةٍ فإذا كان الله قد أهلك قوم عاد وثمود جميعاً فمن إذن حمل هذا الشعر ؟ ، ومن أدَّاه منذ آلاف من السنين؟ .

2 ــ **أدلة تاريخية** : وتتمثل في رجوع ابن سلام إلى تاريخ اللغة العربية ؛ واختلاف لهجات العرب ، وكذلك إلى تاريخ الشعر العربى ، حيث يرى :

ــ أن اللغة العربية لم تكن موجودة في عهد عاد وثمود ، وليس يصح في الأذهان أن يوجد شعر بلغة لم توجد بعد . فأول من تكلم بالعربية هو إسماعيل بن إبراهيم واسماعيل كان بعد عاد وثمود.

ــ أن الشعر الموضوع ــ المنحول ــ الذى نسبه الرواة إلى قوم عاد لا يمثل لغة عاد فعاد من اليمن ؛ ولسان اليمانيين يختلف عن هذا اللسان العربى ، ويستدل ابن سلام على ذلك بقول أبى عمرو بن العلاء: " **العرب كلُّها وَلَدُ اسماعيلَ ، إلاّ حِمْيَرَ وبقايا جُرْهُم**"[1]

[1]- طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي، جزاء 1 ،ص:9

وقوله :" **مالسانُ حِمْيَرَ وأقاصِي اليمن اليوم بلساننا ولا عربيَّتهم بعربيَّتنا**"[1] ويقيم الحجة على رواة تلك الأشعار الموضوعة فيقول : " **فكيف بما على عهد عاد وثمود ، مع تداعيه وَوَهْيه ؟ فلو كان الشعر مثل ما وُضِع لابن إسحاق، ومثل ما روى الصُّحُفِيُّون ما كانت إليه حاجة ، ولا فيه دليل على علم**" [2].

ــ أن تاريخ الأدب العربى لا يذهب بالشعر الجاهلى إلى ذلك العصر الموغل فى القدم ، بل إن ازدهار الشعر لم يكن قبل الإسلام بكثير ، " **ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل فى حَاجتِهِ ، وإنَّما قُصِّدَتْ القصائد ، وطُوِّلَ الشعر فى عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف ، وذلك يدلّ على إسقاط شعرِ عادٍ و ثمودَ وحِمْيَرَ وتُبَّعٍ.**"[3] ثم يحدد ابن سلام الأسباب التى جعلت العرب تصنع الشعر وتنسبه لأناس لم يقولوه ، فيرى أن الانتحال يرجع إلى عاملين :

1- العصبية القبلية فى العصر الاسلامى : إذ حرصت بعض القبائل العربية على أن تضيف لإسلامها ضروباً من المكانة والمجد ، فوجدت فى الشعر ضالتها. ومعلوم أن الشعر الجاهلى قد ضاع منه الكثير ، قال أبو عمرو بن العلاء : " **ما انتهى إليكم ممَّا قالت العرب إلاّ أقلُّه ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير**".[4] أما أسباب ضياع ذلك الشعر فقد بيَّنها ابن سلام فى قوله: " **فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب بالجهاد وغزو فارس والروم، ولَهَتْ عن الشعر وروايته. فلما كثر الإسلام، وجاءت الفتوح، واطمأنَّت العرب بالأمصار، وراجعوا رواية الشعر ، فلم يؤولوا إلى ديوان مُدوَّن ولا كتاب مكتوب ، وألْفَوا ذلك وقد هلك من العرب مَنْ هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عليهم منه كثير**".[5] لذلك لاحظ ابن سلام قيام بعض القبائل التى قَلَّ نصيبها فيما بقى من شعر بالوضع على ألسنة شعرائهم ، يقول ابن سلام : " **فلما راجعت العرب رواية الشعر ، وذِكر أيامها ومآثرها ، استقلَّ بعض العشائر شعر شعرائهم ، وما ذهب من ذكر وقائعهم . وكان قوم قلَّتْ وَقائعُهم وأشعارهم ، فأرادوا أن يلحقوا بمن له**

1- المرجع نفسه، ص:11
2- نفسه، ص:11
3- نفسه ،ص:62
4- نفسه ،ص:25
5- المرجع السابق، ص:25

الوقائع والأشعار ، فقالوا على ألسنة شعرائهم ثم كانت الرُّواة بعد ، فزادوا فى الأشعار التى قيلت. "[1] .

2- الرواة وزيادتهم فى الأشعار: لم يقتصر دور بعض الرواة على وضع الشعر ونسبته إلى غير قائليه بل تجاوز ذلك بكثير، فهم رغم وضعهم فى المرتبة الثانية بعد تزيد العشائر أشد خطراً على الشعر والشعراء ، حيث لم يقتصر دورهم على الوضع بل تجاوزه إلى التزييف والخلط، من ذلك مثلاً ما كان يفعله حمَّاد الراوية، الذى " **كان ينحل شعرَ الرجُلِ غيرَه، وينحله غيرَ شعره ، ويزيد فى الأشعار**".[2] وقد ذكر ابن سلام العديد من الروايات والوقائع التى تدلل على تزيد الرواة فيه وتزييفه وخلطه.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن ابن سلام قد وضع قاعدة نقدية هامة من قواعد الدرس النقدى التطبيقى ؛ حيث لفت الأنظار إلى ضرورة تحقيق النص قبل دراسته ، والتأكد من صحة نسبته لقائله ؛ و صحة روايته ، وهو يرى أن هذا الأمر رغم صعوبته إلا أنه لا يخفى على أهل العلم: " **وليس يُشْكِلُ على أهل العلم زيادةُ الرواةِ ولا ما وَضَعوا، ولا ما وضع المولَّدون، وإنما عَضَّلَ بهم أن يقولَ الرجلُ من أهل البادية من وَلَدِ الشُّعراء أو الرجلُ ليس من ولَدِهم، فَيُشْكِلِ ذلك بعض الإشكال**".[3]

ثانياً : فكرة الطبقات :

سعى ابن سلام ــ منذ البداية ــ إلى جمع شتات مشاهير الشعراء وجعلهم فى طبقات تبين مكانتهم ، وهذا العمل كان يتطلب من ابن سلام التعرض للنصوص الأدبية بالتحليل حتى يظهر جمالها الفنى ويعلل قصورها ، إلا أنه انصرف إلى الشعراء أنفسهم ذاكراً لهم مايراه جيداً دون أن يذكر أسباب تلك الجودة فى الغالب ، و لو نظرنا إلى مصنفه سنجد أنه يشتمل على 114 شاعراً جاء توزيعهم فى الطبقات التالية :

1 ــ طبقات الشعراء الجاهليين : وهى عشرة ، فى كل طبقة أربعة شعراء.

2 ــ طبقات الشعراء الإسلاميين : وهى عشرة ، فى كل طبقة أربعة شعراء .

3 ــ طبقة أصحاب المراثى : وتضم ثلاثة شعراء وشاعرة ــ الخنساء ــ، وهى المرأة الوحيدة التى أوردها ابن سلام فى طبقاته .

---

[1]- نفسه، ص: 42

[2]- نفسه ،ص: 48

[3]- نفسه ،ص: 42

4 ــ طبقة شعراء القرى العربية : وتنطوى على اثنين وعشرين شاعراً ، قسّموا على النحو التالى :

أ ــ شعراء المدينة خمسة ، ثلاثة من الخزرج و اثنان من الأوس .

ب ــ شعراء مكة تسعـــــــــــــة .

ج ــ شعراء الطائف خمسة .

د ــ شعراء البحرين ثلاثـــــة .

هـــ ــ طبقة شعراء اليهود وتشمل ثمانية شعراء .

وقد نبَّه ابن سلام ــ وهو يُقْدِم على وضع الشعراء فى طبقات ــ على أن ذكره شاعر قبل قرنائه في الطبقة الواحدة لا يعنى أنه الأعلى مكانة ؛ المُقَدَّم على باقي شعراء الطبقة، بل إن هذا الأمر لا يخضع لأى معيار نقدى، لأنه لا بد أن يبدأ بذكر أحدهم يقول: " **وليس تَبْدِئَتُنا أحدَهُم في الكتاب نحكمُ له، ولا بُدَّ من مُبْتَدَأٍ**"[1]. ومع ذلك فإننا نجد ابن سلام ــ فى كثير من الأحيان ــ يوازن بين شعراء الطبقة الواحدة ، أو بين شاعر وآخر داخل الطبقة، فيورد رأى العلماء فيهم ويختار من شعرهم ما يؤكد هذا الرأى، ثم يفسر بعض الكلمات الغريبة التى قد ترد فى الشعر ــ وهذا قليل ــ أو يورد آراء علماء اللغة فيها، وفى حالات قليلة يبيِّن رأيه ، وشواهد ذلك في طبقاته كثيرة، من ذلك ــ مثلاً ــ ما نراه فى المفاضلة بين شعراء الطبقة الأولى من الجاهليين ؛ وهم : امرؤ القيس والنابغة الذبيانى وزهير بن أبى سلمى والأعشى ، حيث يورد العديد من آراء العلماء واختلافهم فى المفاضلة بين شعراء هذه الطبقة ، من ذلك قوله : " **أخبرنى يونس بن حبيب : أن علماء البصرة كانوا يقدِّمون امرأ القيس بن حُجْر ، وأهل الكوفة كانوا يقدِّمون الأعشى ، وأن أهل الحجاز والبادية كانوا يقدِّمون زهيراً والنابغة**"[2] ، وفى تبرير تفضيل امرئ القيس على شعراء طبقته قوله : " **فاحتجّ لامرئ القيس من يُقدّمه قال : ما قال ما لم يقولوا ، ولكنه سَبَقَ العربَ إلى أشياء ابتدَعها ، واستَحْسَنَتْها العربُ ، واتَّبعته فيها الشعراء : استيقافُ صَحْبِه ، والتَّبْكَاءُ فى الدِّيار ، ورقَّةُ النَّسيبِ ، وقُرْب المأخَذ ، وشَبَّه النِّساءَ بالظِّباءِ والبَيْضِ ، وشَبَّه الخَيْل بالعِقْبان والعِصِيِّ ، وقَيَّدَ الأوَابد ، وأجادَ فى**

[1]- المرجع السابق ، ص:50

[2]- المرجع السابق، ص:52

التشبيه ، وفَصَلَ بين النَّسيب وبين المعنَى"[1] ، أما ابن سلام فيرى أن امرأ القيس : " **كان أحسن أهل طبقته تشبيهاً ، وأحسن الإسلاميين تشبيهاً ذو الرُّمَّة**"[2] . ثم يورد آراء من احتج من العلماء للنابغة وزهير والأعشى ، ويناقش بعضها ويبيّن رأيه فيها أحياناً .

وقد اعتمد ابن سلام فى مفاضلته بين الشعراء وتصنيفهم فى طبقات تبين مكانتهم الأدبية ومرتبتهم الشعرية على ثلاثة مقاييس عامة ؛ هى :

1 ــ كثرة شعر الشاعر .

2 ــ تــعــدد أغــــراضــــه .

3 ــ جـــــودة شـــــعـــــــره .

أما مقياس الكثرة واعتماد ابن سلام عليه فى المفاضلة بين الشعراء فنراه جلياً فى غير موضع من كتابه، من ذلك ــ مثلاً ــ ما نراه فى تبرير تأخر منزلة طَرَفَة بن العبد وعَبيد بن الأبرص وعَلْقَمَة بن عَبَدَة وعَدِى بن زيد، إلى الطبقة الرابعة، إذ يقول: " **وهم أربعة رَهْطٍ فحولٌ شعراء، موضعهم مع الأوائل، وإنَّما أخلَّ بهم قلَّة شعرهم بأيدى الرُّواة**".[3] وكذلك قوله فى معرض حديثه عن الطبقة السابعة:" **أربعة رَهْط مُحكِمون مُقِلّون وفى أشعارهم قِلّةٌ فذاك الذى أخَّرهم**" .[4] وكذلك مقياس تعدد الأغراض الذى يتضح أثره بصورة جلية فى مواضع عديدة من طبقاته ، من ذلك مثلاً ــ ما نراه فى تبرير وضع كُثَيِّر عزة فى الطبقة الثانية من فحول الإسلام ، وجميل بن مَعْمَر فى الطبقة السادسة ؛ مع أن جميلاً مُقَدَّمٌ فى التشبيب على كُثَيِّر وعلى أصحاب النسيب جميعاً ، قال ابن سلام : " **وكان لكُثَيِّر فى التشبيب نصيبٌ وافرٌ وجميلٌ مُقَدَّمٌ عليه ــ وعلى أصحاب النسيب جميعاً ــ فى النسيب ، وله فى فنون الشعر ما ليس لجميل . وكان جميلٌ صادق الصبابة ، وكان كُثَيِّر يتقوَّل ، ولم يكن عاشقاً ، وكان راوية جميل**" .[5]

ولا يخفى على الدارس أن الكثرة وتعدد الأغراض لا يمكن بحال الاعتماد عليهما كمقياسين نقديين لدرس الشعر وتقويمه ، وأن ابن سلام نفسه كان قد أشار ــ فى مقدمته ــ إلى قضية الانتحال والوضع في الشعر، وأن الرواة لعبوا دوراً خطيراً فى الإقلال من

---

[1]- نفسه ، ص:55

[2]- نفسه ، ص:55

[3]- المرجع السابق، ص: 137

[4]- نفسه، ص:155

[5]- نفسة،جزء2 ،ص:555

شعر شاعر والإكثار من شعر غيره .. لذلك أرى أن أهمية هذين المقياسين تتبع من ارتباطهما بمقياس الجودة، فالشاعر المكثر المجيد مُقدَّم ــ عند ابن سلام ــ على الشاعر المُقلّ المُجيد، والمُكثر المُجيد المُتعدد الأغراض مُقدَّم على المكثر المجيد الذى لم يَقُل إلاّ فى غرض أو اثنين ، أما كثرة الشعر وتنوع أغراضه فإنهما لا يجعلان الموصوف بهما مُقدّماً إذا كان شعره رديئاً . لذلك نرى ضرورة التعرف على كيفية حكم ابن سلام على الشعر بالجودة ، وما هى أسس تلك الجودة حين يقول ــ مثلاً ــ : " **كان قُرَاد بن حَنَش من شعراء غطفان، وكان قليل الشعر جيِّدَه**" [1]، أو يقول فى حسان بن ثابت : " **وهو كثير الشعر جيده**"[2]، أو يقول:" **وكان الأسْوَدُ شاعراً فَحْلاً ، وكان يُكثِر التنقُّل فى العرب يُجاوِرهم ، فيَذمُّ ويَحْمَدُ، وله فى ذلك أشعارٌ . وله واحدةٌ رائعةٌ طويلةٌ، لاحقةٌ بأجْوِدِ الشعر ، لو كان شَفَعها بمثلها قدَّمناه على مرتبته**"[3] إذن ما هى المقاييس التى استند إليها ابن سلام وهو يصدر الحكم بالجودة فيقدم شاعراً على آخر ، أو يقرن شاعراً بآخر ؟

لم ينكر ابن سلام جهود السابقين ونظراتهم فى الشعر والشعراء ، بل يكاد الاعتماد على آراء أهل العلم والخبرة أن يكون أهم مقاييس الجودة عنده ، هذا ما يقرره ابن سلام فى مقدمة كتابه حين يقول : " **واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حُجَّة ، وما قال فيه العلماء**"[4]، وكذلك حين يقول : " **ثم إنَّا اقتصرنا ــ بعد الفحص والنظر والرواية عمَّن مضى من أهل العلم ــ إلى رَهط أربعة اجتمعوا على أنهم أشعر العرب طبقة ، ثم اختلفوا فيهم بَعْدُ . وسنسوق اختلافهم واتفاقهم ، ونسمِّى الأربعة ، ونذكر الحجة لكل واحد منهم**"[5] . فهو غالباً ما يستقصى آراء العلماء فى منزلة شعراء طبقاته ، وأحياناً يناقش تلك الآراء ويبيّن رأيه فيها . وأمثلة ذلك كثيرة متنوعة ، منها قوله فى النابغة الجعدى :" **كان الأصمعى يمدحه بهذا وينسبه إلى قلة التكلف**"[6] ، وقوله كان علماؤنا

---

[1]- نفسه، جزء 2 ،ص:733

[2]- نفسه، جزء 1 ،ص:215

[3]- نفسه، ص: 147

[4]- المرجع السابق، ص: 24

[5]- نفسه، ص:49-50

[6]- نفسه، جزء 2، ص:25

يقولون: "**أحسنُ الجاهلية تشبيهاً امرؤ القيس ، وأحسن أهل الإسلام تشبيهاً ذو الرُّمَّة**"[1].

ومما تجدر ملاحظته في هذا الموضع أن عدم تعقيب ابن سلام على بعض ما يورده من آراء العلماء، إنما يعنى موافقته على تلك الآراء، أو فلنقل عدم تحفظه عليها وإلاّ لما وجدناه يخالف ما لا يروقه من تلك الآراء فى مثل قوله : " **وكان كُثَيِّر شاعر أهل الحجاز ، وإنهم ليُقَدِّمونه على بعض من قَدَّمنا عليه**"[2]، وكذلك قوله في رؤبة بن العجّاج : " وقال بعضهم : إنه أفصحُ من أبيه . ولا أحسِب ذلك حقاً"، ومثل هذه الآراء على قلتها تدلل على إعمال ابن سلام فكره وتقليبه الرأى قبل أن يعتد به ويعتمده.

ــ إن السبق والإبداع مقياس هام من مقاييس الحكم بالجودة عند ابن سلام ، حيث رأيناه يبرر تقديم امرئ القيس على فحول شعراء الجاهلية بقوله : "**ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها ، واستحسنتها العرب ، واتبعه فيها الشعراء**"[3] ، كما نراه يبرر وضع الراعى النميرى فى طبقة فحول الإسلاميين الأولى بقوله : " **وكان يُقال له فى شعره : كأنه يَعْتَسِفَ الفلاة بغير دليل ! أى أنه لا يحتذى شعر شاعر و لا يعارضه**" .[4]

وللمقاييس الفنية العامة أثر واضح فى حكم ابن سلام على الشعر بالجودة ، وهى كثيرة متنوعة تتصل بلفظ الشعر ؛ أو بلغته ؛ أو معانيه وصوره ..، وهى فى معظمها عامة تحتاج إلى توضيح وتحديد . ففى مفاضلته بين بيت شعر لجرير وآخر للأخطل ؛ نجده يقول:" **قال لى معاوية بن أبى عمرو بن العلاء: أى البيتين عندك أجودُ؟ قول جرير:**

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايا وأنْدَى العَالَمِين بُطُــــــــونَ راحِ

أم قولُ الأخطل :

شُمسُ العَداوَةِ حتى يُسْتَقَادَ لهم وأعْظَمُ النَّاسِ أحْلاماً إذا قَدَرُوا

فقلتُ: بيت جرير أحلى وأسْيَر ، وبيت الأخطل أجزل وأرزن"[5] ، هكذا نجده يصف بيت بيت جرير بأنه أحلى، "**ولا ندرى معايير هذا الوصف، أو متى يكون الشعر حلواً ؟!** .

1- نفسه، جزء 2،ص :549
2- نفسه ، جزء 2 ،ص:540
3- نفسه ، جزء 1 ،ص:55
4- المرجع السابق، ص: 2-5
5- نفسه ، ص:49

ومثله وصف عَبْدُ بنى الحَسْحَاس بأنه" حلو الشعر، رقيق حواشى الكلام"[1] ، وكذلك وصف القُطامِى بأنه " **رقيق الحواشى**"، **حلو الشعر**"[2] . حيث لا نستطيع أن نحدد معايير رقة الحواشى ولا ماهيتها . ومع ذلك فإننا لا نعدم وجود بعض المعايير المحددة الدلالة ؛ مثل جزالة اللفظ ؛ وشرف المعنى وفخامته.

ــ والغرض الشعرى وسبل معالجته واستقصائه من الأمور التى أخذها ابن سلام فى حسبانه وهو يصنف الشعراء ويحكم على شعرهم بالجودة، من ذلك ــ مثلاً ــ قوله فى المديح فى شعر كُثَيِّر: " **ورأيتُ ابن أبى حَفصَة يُعجبه مذهبه فى المديح جداً، يقول : كان يستقصى المديح**".[3]

ومثله براعة التشبيه الذى نراه أحياناً أساساً للمفاضلة بين الشعراء، من ذلك مثلاً ــ قوله : " **كان امرؤ القيس أحسن أهل طبقته تشبيهاً، وأحسن الإسلاميين تشبيهاً ذو الرُّمَّة**" .[4]

بقى أن نقول اعتمد ابن سلام إلى جانب مقاييسه الثلاثة التى بنى عليها طبقاته مقاييس أخرى بالغة الأثر فى بناء بعض طبقاته ؛ منها :

ــــ البيئة : المكان وأثره فى الشعر والشعراء هو أحد المقاييس التى راعاها ابن سلام فى أثناء تصنيف طبقاته ، حيث نجده يخص شعراء القرى العربية بطبقة مستقلة ، ثم يفاضل بين تلك القرى وأثرها فى غزارة الانتاج فيقول:" **وهى خمسٌ: المدينة، ومكة، والطائف، واليمامة ، والبحرين . وأشعرهن قرية المدينة**"[5] ، وفى موضع آخر نجده يتحدث عن أثر المكان فى تشكيل سمات الشعر ــخاصة اللغويةــ ، حيث يقول فى سُحَيْم بن وَثِيل الرِّياحىّ:" **وكان الغالب عليه البَدَاء والخُشْنَة**"[6] ، فخشونة شعر وثيل مردها البادية، أما عدى بن زيد فقد اختلفت سمات شعره باختلاف بيئته، حيث " كان يسكن الحِيرة ويُرَاكن الرِّيف ، فلان لسانُه وسَهُل مَنْطِقُه" .

---

[1]- نفسه، ص:187

[2]- نفسه، جزء 2 ،ص:535

[3]- نفسه، جزء 2 ،ص:540 -642

[4]- نفسه، جزء 1 ،ص:55

[5]- المرجع السابق، ص: 25

[6]- نفسه، جزء 2 ،ص:575-577

ـــــ العقيدة : استند ابن سلام إلى العقيدة الدينية حين أفرد لشعراء اليهود طبقة مستقلة اشتملت على ثمانية منهم . ويُلاحَظ أنه لم يعن بتحديد مكانة أىّ منهم ، سواء منزلته بين شعراء طبقته ، أو منزلة طبقته بين الطبقات. كذلك لم يتعرض إلى أثر العقيدة الدينية فى شعرهم ومعانيهم.

ـــــ الأخلاق : كذلك اتضح أثر المعيار الأخلاقى فى حديث ابن سلام عن سمات شعر بعض فحول الجاهلية كامرئ القيس والأعشى، حيث يقول: " **فكان من الشعراء من يتألَّه في جاهليته ويتعفَّف في شعره، ولا يَسْتَبْهِر بالفواحش، ولا يتهكَّم فى الهجاء ومنهم من كان يَنْعَى على نفسه و يتعهَّر. منهم امرؤ القيس ..، ومنهم الأعشى**"[1]. وكذلك فى موازنته بين الفرزدق وجرير، حيث يقرن الفرزدق بامرئ القيس والأعشى ويميِّز جريراً عنهم فيقول: " **وكان جرير مع إفراطه فى الهجاء يعفُّ عن ذِكر النساء، كان لا يُشَبِّبُ إلاّ بامرأةٍ يملكُها**" [2].

ـــــ التشابه : وضع ابن سلام هذا المقياس فى حسبانه وهو يشرع فى تصنيف طبقاته فقال فى مقدمة كتابه:" **فألَّفنا من تشابه شعره منهم إلى نُظَرائه، فوجدناهم عشر طبقاتٍ أربعة رَهط كل طبقة ، مُتَكافِئين مُعْتدِلين**"[3] ، وقد لاحظنا أثر هذا المعيار فى معظم طبقاته إضافة إلى ما تجلّى فى موازناته بين بعض شعراء الغرض الواحد من طبقات مختلفة من ذلك ما يُلاحَظ فى موازنته بين جميل بن مَعْمَر وكُثيِّر عزة فى فن النسيب ، وبين جرير والفرزدق فى فن النقائض .. وغيرهم ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل رأيناه يفرد طبقة لمن برزوا فى غرض واحد من أغراض الشعر ، وهى طبقة أصحاب المراثى. وهنا نلاحظ اكتفاء ابن سلام بذكر بعض شعراء المراثى ونسبهم وبعض أخبارهم ونتفاً من أشعارهم ، مع أن الاتفاق فى الغرض كان يتطلب من ابن سلام الموازنة بين معانيهم وخصائص شعرهم ، ثم المفاضلة بينهم . ومن قبيل التشابه أيضاً ؛ ما نراه فى تخصيص الطبقة التاسعة من طبقات فحول الإسلام للحديث عن أربعة من الرُّجَّاز . وقد حاول ابن سلام الموازنة بين شعراء هذه الطبقة ، فأورد بعض

---

[1]- نفسه ، ص :41-42

[2]- نفسه ، ص:46

[3]- المرجع السابق ،ص: 24

آراء العلماء فى الموازنة بين بعض سمات رجزهم ، فقال: " **قال أبو عمرو بن العلاء : كان أبو النَّجْم أبلغَ فى النَّعت من العَجّاج**" [1].

ــ النسب : قد لا يكون لصلة القُربى كبير تأثير فى الجمع بين رؤبة والعجاج ، ولكنها واضحة التأثير فى حديث ابن سلام عن شعراء الطبقة الثانية من فحول الجاهليين حيث نراه يستذكر زهير بن أبى سلمى فى أثناء حديثه عن ابنه كعب، كما يستذكر بعض شعر أخيه بجير، واستناداً إلى مقياس التشابه نجده يقرن ذكر جرير وذريته بذكره لزهير، فيقول: " **ولم يزل فى ولَدِ زهير شعر . ولم يتصل فى وَلَد أحد من فحول الجاهلية ما اتصل فى ولد زهير ، ولا فى ولد أحد من الإسلاميين ما اتصل فى ولد جرير**"[2] .

ثالثاً : مؤهلات الناقد :

أكد ابن سلام فى غير موضع من طبقاته على ضرورة التخصص، وأقام الحجة على مَن أنكر ذلك بأكثر من طريقة، من ذلك مقولة خلف الأحمر لمن أنكر أهمية التخصص: " **وقال قائل لخلف: إذا سمعتُ أنا بالشعر أستحسنُهُ فما أبالى ما قلتَ أنت فيه وأصحابك . قال : إذا أخذت درهماً فاستحسنته ، فقال : لك الصَّرَّاف إنه ردئ ! فهل ينفعك استحسانُك إيّاهُ ؟**"[3] . وكذلك إشارته إلى الأخطاء التى تصدر عن غير المختصين الذين يتصدون للشعر وروايته فى مثل قوله : " وجدنا رواة العِلم يغلطون فى الشعر ، ولا يضبط الشعر إلا أهله". وذكر الشروط الواجب توافرها فى الناقد فشدَّد على أهمية الذوق والاستعداد الفطرى ، وبيّن أثر الدربة والممارسة فى العملية النقدية فقال: " وللشعر صَناعة وثقافة يعرفها أهل العلم ، كسائر أصناف العلم والصَّناعات : منها ما تَثْقَفهُ العين ، ومنها ما تَثْقَفهُ الأُذن ، ومنها ما تَثْقَفه اليد ، ومنها ما يَثْقَفه اللسان . من ذلك اللؤلؤ والياقوت لا تعرفه بصفة ولا وزن، دون المعاينة ممن يبصره ومن ذلك الجَهْبَذَةُ بالدينار والدرهم، لا تُعرَف جَوْدتُهما بلونٍ ولا مَسٍّ ولا طِرَازٍ ولا وَسْمي ولا صفة ، ويعرفه الناقد عند المعاينة" . إن العلم بالشعر وضوابطه الفنية على أهميته عند ابن سلام لا يغني أبداً عن الذوق تلك الخاصية الجوهرية التي لا تتسنى للناقد بالتلقين أو التعلم، وإنَّما تُكتسب

1- نفسه، جزء 2 ،ص:753-761
2- نفسه، جزء 1 ،ص:110
3- المرجع السابق ،ص:7

بطول المران والممارسة العملية، والتى يستند إليها الناقد المتمرس فى تمييز مستويات الجودة التى لا تخضع لضابط فنى دقيق يعين على شرح أسبابها، من ذلك ما نراه فى أمثلة ابن سلام التى نورد منها قوله:" **وكذلك بَصَرُ الرقيق ، فتوصف الجاريةُ فيقال: ناصعَةُ اللون جيِّدة الشَّطْب، نقيَّةُ الثَّغر، حسنة العين والأنف، جيّدة النُّهُود ، ظريفَةُ اللسان، واردة الشَّعَر فتكون فى هذه الصفة بمئة دينار وبمئتي دينار ، وتكون أخرى بألف دينار وأكثر، ولا يجد واصفُها مزيداً على هذه الصفة .. ويقال للرجل والمرأة في القراءة والغناء: إنَّه لنَدِى الحَلْق طَلُّ الصوت، طويل النَّفَس، مصيبٌ للَّحْن، ويوصف الآخر بهذه الصفة، وبينهما بون بعيد، يعرف ذلك العلماء عند المعانية والاستماع له، بلا صفة يُنْتَهَى إليها، ولا علم يُوقَف عليه وإن كثرة المدارسة لتُعْدِى على العلم به . فكذلك الشعر يعلمه أهل العلم به"[1].**

إن حديث ابن سلام السابق عن أهمية الذوق فى إتمام العملية النقدية والوصول بها إلى منتهاها لا يحجب أهمية الثقافة التي ينبغي أن يتسلح بها الناقد ، كما أنه لا يعفى من التأكيد على أهمية التجربة والممارسة. وإن عدم توسع ابن سلام فى الحديث عن صنوف الثقافة التى يحتاج إليها الناقد إنَّما مرده علم ذوى الاختصاص بتلك الصنوف" للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم .. "، وكذلك الحال بالنسبة للتجربة والممارسة.

وهكذا فإن الذوق الذى يتمثل عند ابن سلام ــ كما رأينا فى الأمثلة السابقة ــ فى المقدرة الفائقة على ممارسة العملية النقدية والتمييز بين أدق الخصائص الفنية ، إنَّما يقوم على ثقافة خاصة ، واستعداد فطرى ، وينمو ويتطور بكثرة المران والممارسة التى هى فى المحصلة النهائية إضافة نوعية لرصيد الناقد الثقافى ، وتنمية عملية لمهارته النقدية .

رابعاً : قضايا أخرى :

أثار ابن سلام العديد من القضايا الهامة التى تتصل باللغة العربية ولهجاتها والنحو العربى ونشأته وتطور مباحثه، وكذلك الشعر العربى وأهميته ورحلة تطوره؛ وأثر الإسلام فيه ، وأول من اهتم بجمعه وتدوينه ، وتطرق لعلم العروض فذكر الخليل بن أحمد الفراهيدى وسبقه فى وضع العروض وتفوقه فى استنباط علله، فهو فى مجال اللغة والنحو العربى أول من أرخ لنشأة النحو حيث تحدث عن البصرة وسبقها فى هذا المجال

---

[1] - نفسه، ص:6-7

؛ وذكر مبررات نشأة النحو والحاجة إليه ، وتتبع تطور مباحثه وجهود علماء العربية فقال:"**وكان لأهل البصرة فى العربية قُدْمَةٌ، وبالنحو ولُغات العرب والغريب عناية. وكان أول من أسّسَ العربية، وفتح بابها، وأنْهَجَ سبيلها ووضع قياسها: أبو الأسود الدُّؤَلى فكان سَرَاة الناس يلحَنُون، ووجوهُ الناس، فوضع باب الفاعل والمفعول به، والمضاف وحروف الرفع والنصب والجر والجزم . وكان ممن أخذ عنه يحى بن يَعْمَر ..**"[1]. وفى أثناء تمثيله لبعض الأخطاء التى وقع فيها سَرَاة القوم وفيهم الأدباء والشعراء، حرص ابن سلام على تتبع مجهودات علماء العربية والإشارة إلى ما يميز كل منهم بمثل قوله: " **ثم كان من بعدهم عبدُ الله بن أبى إسحاق الحضرمىّ، وكان أوَّل من بعج النحو، ومدَّ القياس والعلل. وكان معه أبو عمرو بن العلاء ، وبقى بعده بقاءً طويلاً. وكان ابن أبى إسحاق أشدَّ تجريداً للقياس، وكان أبو عمرو أوسعَ علماً بكلام العرب ولُغاتِها وغريبها**"[2]. أما فى مجال الشعر فقد تحدث ابن سلام عن نشأة الشعر العربى وكيف بدأ بأبيات يقولها الرجل فى حاجته ؛ وكيف تطور شكل القصيدة فى عصر عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف ؛ حيث قُصِّدت القصائد وطُوِّل الشعر، ثم يرى ابن سلام أن " **أول من قَصَّد القصائد وذكَرَ الوقائع ، المُهَلْهِلُ بن ربيعة التَّغْلَبِىُّ فى قتل أخيه كُلَيْبِ وائلٍ ــ قتله بنو شيبان ــ وكان اسم المهلهلِ عَدِيًّا ، وإنما سُمَّى مُهَلْهِلاً لهَلهَلة شِعرِه كهلهلة الثوب ، وهو اضطرابُه واختلافُه ، ومن ذلك قول النابغة :**

أتاكَ بقولٍ هَلْهَلِ النَّسْجِ كاذِبٍ ولم يَأت بالحقِّ الذى هو ناصعُ"[3].

ورغم موافقة الكثير من المتقدمين لرأى ابن سلام هذا؛ إلا أننا لا ننكر وجاهة رأى محمود شاكر محقق كتاب الطبقات ؛ الذى يقول :" **هكذا يرى ابن سلام وغيره من المتقدمين . وهو عندى باطل ، فالشعر أقدم مما يزعم ، وطويله أعتق مما يتوهم . وليته قال هنا ما قاله منذ قليل فى سبب ذهاب شعر عَبيد وطَرَفَة ، أن قدمهما كان السبب فى قلة ما روى عنهما. فإذا صح ذلك ، فمن كان قبلهما أجدر أن يذهب من كلامه أكثر مما ذهب من كلامهما**"[4] ، حيث نجد من القدماء من يزعم أن الأَفْوَه الأَوْدِىّ هو أول من قصد القصيدة

[1]- المرجع السابق ، ص:12-13

[2]- نفسه، ص :14

[3]- المرجع السابق ، ص: 39

[4]- نفسه، ص: 26

أو أنه ابن حَذَام.وقد حدد ابن سلام القوم والبيئة التى نشأ فيها الشعر العربى وازدهر ، فذكر أن بدايته كانت فى ربيعة ثم تحول إلى قيس ثم إلى تميم ولم يزل فيهم.

أما وعيه بأثر البيئة على الشعر والشعراء فجعله يصرح بأن البيئات ليست سواء فى انتاج الشعر، وأن سهولة شعر عدى بن زيد ترجع لاستقراره فى بيئة ريفية كما أن خشونة شعر سُحَيم بن وثِيل الرِّياحى مرجعها سكناه البادية .

أما الظروف الاجتماعية والسياسية فلها دور بارز فى إنتاج الشعر، إذ يرى ابن سلام أن الشعر يكثر فى الحروب ؛ ويدلل على ذلك بحرب الأوس والخزرج وكثرة ما قيل فيها من شعر ، أما قريش فإن سبب قلة شعرها " أنه لم يكن بينهم ثائرة ، ولم يحاربوا . وذلك الذى قلل شعر عُمان وأهل الطائف"

فى ميزان النقد :

يمثل كتاب ابن سلام البداية الحقيقية للنقد الأدبى المنظم عند العرب، وقد تصدى صاحبه لشريحة كبيرة من الشعراء مائة وأربعة عشر شاعراً ، هى شريحة الفحول لذلك فإنه من البدهى أن يقع من يتصدى لمثل هذا العمل الجليل فى الكثير من الأخطاء وأن يُسجل عليه العديد من المآخذ .

أما الأخطاء التى وقع فيها ابن سلام فينحصر معظمها فى ترتيب الطبقات ، من ذلك مثلاً :" **أنه وضع بَشَامة بن الغدير المُرِّىّ فى الطبقة الثامنة من طبقات الإسلاميين**"[1] مع أنه جاهلى. ومع ذلك فقد نجد فيما سبق ذكره عن القربى ومراعاتها أحياناً فى التأليف بين شعراء الطبقات ما يبين سبب وقوعه فى هذا الخطأ حيث ذكره مقروناً بثلاثة شعراء إسلاميين من بنى مرة. وهنا لابد من القول أن ابن سلام لا يجهل حقيقة أن بشامة جاهلى يؤكد ذلك ما أورده من قصة توزيع تركته وكيف جعل الشعر من نصيب ابن أخته زهير بن أبى سلمى

وقد ذكر المرحوم طه إبراهيم خطأ ابن سلام فى تصنيف بشامة بن الغدير مقروناً بذكر أبى زبيد الطائى **فقال:" ولسنا ندرى كيف جاء بَشَامة بن الغدير وأبو زبيد الطائى**

[1]- المرجع السابق، ص:7-9

فى طبقات الإسلاميين، مع أنهما جاهليان"[1]. والصواب أن أبا زبيد شاعر مخضرم استعمله عمر بن الخطاب رضى الله عنه على صدقات قومه.

ومن ذلك أيضاً أنه جعل مخضرمى الجاهلية والإسلام ككعب والحطيئة والنابغة الجعدى ولبيد والكُمَيْت بن مَعْرُوف الأسَدىّ وسُحَيْم عَبد بنى الحَسْحاس .. فى طبقات الجاهليين دون أن يقدم سبباً واحداً يبرر فيه عمله هذا ؛ خاصة أنه لم ينس للحظة أنهم من المخضرمين ــ من ذلك ــ مثلاً قوله فى ترجمة النابغة الجعدى: " **وكان النابغة قديماً شاعراً مفلقاً، طويل البقاء فى الجاهلية والإسلام** .. "[2]، وقوله عن سُحَيْم عبد بنى الحَسْحَاس " وأنْشَدَ عُمرَ بن الخطّاب **قولَهُ** :

"**عُمَيرَةَ وَدِّع ، إِن تَجَهَّزْتَ غَادِيَا كَفَى الشَّيْبُ والإسلامُ للمرءِ نَاهِيَا**"[3]

ولو افترضنا أنه يراعى فى تصنيفهم العصر الذى كثر فيه شعرهم أو جاد كما رأينا فى تقديمه للنابغة الجعدى أنه كان شاعراً مفلقاً ؛ لكان من المحتم عليه أن يضع بعضهم فى طبقات شعراء الإسلام ، ككعب مثلاً ...

ولكنى أرى أنه لم يخطط لذلك ولم يستند فى عمله هذا إلى أسس نقدية ، وإلا فلماذا وضع مجموعة من هؤلاء المخضرمين مع شعراء القرى العربية ؛ كحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وغيرهم ، ولماذا أخرج شعراء القرى العربية وشعراء المراثى من طبقات شعراء العصرين : الجاهلى والإسلامى ، ولماذا لم يقرنهم بنظرائهم فى الطبقتين ؟ ولم ينزلهم منازلهم من شعراء العصرين ؟![4]

قد يكون له بعض العذر فى جعل شعراء المراثى فى طبقة مستقلة لما لهذا اللون من الشعر من تميز فى الخصائص، خاصة إذا أخذنا فى الحسبان غلبة العاطفة وقوتها وما لها من خصوصية وتمَيُّز. أما فى إفراد طبقة لشعراء القرى العربية فأعتقد أن الصواب لم يحالف ابن سلام مرتين، مرة حينما خصها بهذه الطبقة المستقلة دون مبرر، والثانيـــة حينما ذكر اليَمَامة مع القرى العربية ــ مكة والمدينة والطائف والبحرين ــ خاصة أنه لم

---

[1]- تاريخ النقد الأدبي عند العرب- من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ، د.طه أحمد إبراهيم، (د-تح)،الفيصلية مكة المكرمة ،(د-ط)،1425هـ-2004 ،ص: 88 .

[2]- طبقات في فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، جزء 1 ، ص: 123 .

[3]- المرجع السابق ،ص:187

[4]- نفسه، ص:215-228

يجد شيئاً يذكره عن شعراء اليمامة وشعرهم ، حيث اكتفى بالقول: " **ولا أعرِفَ باليَمَامة شاعراً مَذْكوراً**"[1].

ومما يؤخذ عليه أيضاً أنه لم يكن منصفاً حينما جعل كبار الرجّاز ــ الأَغْلَب العِجْلّيّ وأبا النَّجْم الفضل بن قُدَامَة العِجْليّ، والعَجَّاج، ورُؤْبة بن العَجَّاج ــ فى الطبقة التاسعة من الشعراء الإسلاميين، وأرى أن ابن سلام يكشف فى هذا التصنيف عن موقفه من الرجز والرجّازين ويدلل بطريقة تطبيقية على صحة ما ذهب إليه أهل عصره الذين جعلوا الرجز فى منزلة أدنى من منزلة باقى بحور الشعر العربى، وكان من الأجدر به أن يفرد للرجّازين طبقة كتلك التى أفردها لشعراء المراثى ، لما لهذه الطبقة من تفرد وتميز فى السمات والخصائص.

ومما أخطأ فيه ابن سلام أنه جعل كل طبقة أربعة شعراء دون أن يقدم ما يقنع من المبررات التى تجعلنا نوافقه على أنهم أربعة لا أقل ولا أكثر، وقد أدرك ابن سلام خطأه هذا حين اضطر إلى تأخير منزلة بعض الشعراء من طبقة إلى أخرى أدنى منها ليس لشئ إلا لأن عدد شعراء الطبقة أكمل الأربعة ، من ذلك ــ مثلاً ــ إقراره بأن أوس بن حجر يستحق أن يكون فى الطبقة الأولى من طبقات الشعراء الجاهليين لأنه يتوافق وشرطه الوحيد فى بناء كل طبقة، ذلك الشرط الذى وضعه فى مقدمة طبقاته حين **قال:** " **أربعة رَهْط كلّ طبقة، مُتَكافِئين مُعْتَدِلين**"[2] فاستدعت موضوعيته الاعتراف بهذا الخلل حين وضع أوساً فى الطبقة الثانية حيث قال:" **وأوس نظير الأربعة المتقدمين، إلا أنَّا اقتصرنا فى الطبقات على أربعة رهط**"[3].

وهنا يمكننا القول إنه كان حرى بابن سلام أن يجعل كتابه ثلاثة أقسام : "قسم لطبقات شعراء الجاهلية ، والثانى لطبقات الشعراء المخضرمين ، والثالث لطبقات شعراء الإسلام، وأن يجعل طبقاته فى كل قسم ثلاث ، الطبقة الأولى للمبرزين ؛ والثانية للمتوسطين، والثالثة للمتأخرين ولو فعل ذلك لما اضطر إلى سرد أسماء الشعراء فى نهاية طبقاته دون شاهد أو دليل"[4]. أما المآخذ التي يمكن تسجيلها على طبقات ابن سلام فإن أول ما نذكره

---

[1]- نفسه ، ص: 277
[2]- المرجع سابق، ص: 24
[3]- نفسه، ص:77
[4]- تاريخ النقد الأدبي عند العرب – من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، د. طه أحمد إبراهيم،ص:109

منها ملاحظة المرحوم طه إبراهيم الذى يرى طغيان عقلية ابن سلام العلمية على ملكته الأدبية في تحليل النصوص الشعرية، إذ يقول:" **وإذا كان ابن سلام بارعاً كل البراعة فى تناول المسائل الأدبية من جميع أطرافها ، فإن ملكته الأدبية فى تحليل الشعر وتذوقه لا تكاد تظهر فيما كتب؛ ملكته الأدبية أضعف بكثير من ملكته العلمية** "[1].

ورغم ما تنطوى عليه هذه المقولة من صحة إلا أننا لا نغفل أهمية قول طه **إبراهيم** " **ولكننا لا نجده يتقدم فى تذوق الأدب خطوة عن الذين عاصروه أو سبقوه**"[2] فهو يومئ بموضوعية وإنصاف إلى أن ما سبق أن لاحظه لا يغض من قيمة عمل ابن سلام الذى لم يكن بدعاً بين معاصريه، فهو رغم ما يتوقع منه من تفوق على معاصريه فى تحليل النصوص إلا أنه لم يعزله عن طبيعة عصره وعن نقود معاصريه التى طبعت غالباً بطابع التعميم .

أما قول طه إبراهيم فى التدليل على عمومية أحكام ابن سلام وعدم دقتها : "بل لقد نرى له أحياناً كلاما عاما لا يحدّد ذوقا خاصا، ولا يُشعر بتفهم النصوص على النحو المقنع، وقلّما نظفر بشئ دقيق حين نتتبع آراء ابن سلام فيما يتصل بالشعر ، فأبو ذُؤيب الهذلى شاعر فحل لا غَميزة فيه ولا وَهَن. وعبد بنى الحسحاس حلو الشعر، رقيق حواشى الكلام. والبعيث فاخر الكلام حر اللفظ. ما هى حلاوة الكلام ؟ ما رقة الحواشى ؟ والغميزة والوهن في الشعر؟ كل أولئك على شيء من الغموض مهما آمنا بصعوبة التحديد فى الفنون "[3]. فهو قول قد يتصف بالموضوعية إذا حاولنا فهمه بمنأى عن عصر ابن سلام ومصطلحاته النقدية، أما إذا أرجعناه إلى عصر ابن سلام وما اشتهر فيه من المصطلحات النقدية، فهو بالضرورة يعد فى رصيد ابن سلام الذى " جمع ما عرف العلماء والنقاد من مصطلحات نقدية كثر تداولها بينهم " ، وفى رأيي أن عدم وضوح دلالة المصطلح لا تعد مسئولية ابن سلام الذى خاطب أهل زمانه بمصطلحات أظنهم لا يجهلون دلالتها ، بل كأنى بهم قد تفّهموا معنى رقة الحواشى ومتى يكون اللفظ والكلام فاخراً واصطلحوا على ماهية حلاوة الكلام ومتى تكون فى الشعر غَميزة أو يتصف بالوَهَن .

---

[1]- نفسه ، ص: 109
[2]- نفسه ،ص : 109
[3]- المرجع السابق، ص: 109

نعم قد تكون هذه المصطلحات غير واضحة الدلالة بالنسبة لنا فى العصر الحاضر ولكنها كانت معلومة الدلالة فى عصر ابن سلام .

ومما أُخذ على ابن سلام أنه انفرد من بين العلماء بإضافة الراعى النميرى إلى الثلاثة الإسلاميين، جرير والفرزق والأخطل، وعده فى طبقتهم ، وسبب ذلك كما يقول المرحوم طه ابراهيم أن ابن سلام" **لم يستند إلى حجة، ولم يقم دليلاً، ولم يذكر فى كلامه على الراعى شيئاً يسوّغ هذا التقديم** "[1].

وقد سبقت الإشارة إلى اعتداد ابن سلام بالسبق والابداع فى تصنيف شعراء طبقاته وقد رأيناه يبرر تقديم امرئ القيس على غيره من الشعراء بأنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها. وقد برر تقديمه للراعى النميرى وجعله مع شعراء الطبقة الأولى من طبقات الإسلام بقوله :" كأنه يَعْتَسِف الفَلاة بغير دليل ! أى أنه لا يحتذى شعر شاعر ولا يعارضه " . فهو إذن مقدم لأنه مبتدع ، وهذه إن كانت جرأة من ابن سلام ومخالفة لما أجمع عليه العلماء ، فهى جرأة محمودة تحسب له وتدفع عنه بعض ما أخذ عليه من الإتباع فى إصدار الأحكام

كذلك أُخذ على ابن سلام أنه " لم يتصد لذكر الشعراء الذين عاصروه كمروان بن أبى حفصة ، وأبى نواس ، وبشار ، ومسلم بن الوليد ، وأبى تمام ، ولم يحاول أن يقسمهم طبقات كما فعل بالجاهليين والإسلاميين، ولا أن يُصرّح برأيه في واحد منهم"،" وقد حاول بدوى طبانه تبرير هذا الأمر بأن ابن سلام كان " يستعين فى تأليفه ويستظهر على آرائه بآراء العلماء الذين يثق بهم ، ويعتمد على آرائهم فى شعراء قد قضوا نحبهم ، وأصبح تراثهم الشعرى ملكاً للعلماء والنقاد يقولون فيه ما شاءوا، أما الشعراء الذين عاصرهم ابن سلام فلم تكن الأقوال قد تبلورت بعد بحيث يعتمد عليها . ولعل أولئك العلماء كانوا يخشون مما قد ينالهم من أولئك الشعراء من الهجو المقذع إذا عرضوا لشعرهم بالنقد والتحليل والإشارة إلى مواطن الضعف فيه ، فضنوا بأعراضهم أن يمتهنها الشعراء "[2]. وفى ظنى أن هذا التبرير قد يفقد جدواه إذا عرفنا أن ابن سلام أهمل بعض فحول الشعراء

---

[1]- نفسه، ص:109

[2]- المرجع السابق، ص:109

الإسلاميين ــ أيضاً ــ كعمر بن أبى ربيعة ، والطرماح بن حكيم ، وغيرهم ممن تبلورت أقوال العلماء فيهم قبل أن يُصنِّف ابن سلام كتابه ، وماتوا فلا يُخْشَى هجاؤهم .

وبعد ..، فقد أجمع الدارسون من قبل على أهمية كتاب ابن سلام وعلى تقدمته فى خدمة النقد الأدبى وتوثيق أصوله. ولا أرى أن من أنكر أهمية الجهد الذى بذله ابن سلام أو اجتهد فى التقليل من شأن بعض مباحث الكتاب قد أصدر حكمه فى ضوء عصر ابن سلام .

فابن سلام بالقياس على معاصريه " من أجلاء النقاد صحة ذهن ونفاذ بصر بما بسط من القول، وأوضح من الدلائل وبيّن من العلل؛ فقد وصل ما أصَّله الأدباء واللغويون وتناوله تناولاً حسناً ، وزاد عليه زيادات قيمة .. ثم إن الأصول التي عُرفت قبله فى النقد لم توطّد ، ولم تؤكد ، ولم تستقر وترسخ إلا فى كتاب طبقات الشعراء هذا إلى أن الكتاب أقدم وثائق النقد المدوّنة " .

المعايير النقدية في كتاب طبقات فحول الشعراء (أسس المفاضلة)

تتبع المعايير النقدية في كتاب طبقات فحول الشعراء من حيث اطارها العام من معايير أساسين هما الفحولة والتشابه. أما الفحولة فهي الأساس الأول الذي اقام ابن سلام عليه تمييز الشعراء، وتصنيفهم في طبقات، ويخلط احسان عباس أن ابن سلام وتسع من حدود فكرة الأصمعي، وأعاد صياغتها، فقد الاصمعي يقسم الشعراء إلى فحول و غير فحول فجاء ابن سلام و اقر في انهم فحول إلى ان هذه الأخيرة تتفاوت. وان التشابه فهو الأساس العام الثاني الذي اعتمده ابن سلام في تصنيف الشعراء، و هذا الأساس اعتمده في كل طبقة على حدة، غير انه لم يوضح معايير التشابه توضيحا صريحا، إلا في بعض الطبقات، و لعل أبرز تلك المعايير، و المقاييس التي أقام على أساسها اختيار الشعراء و المفاضلة بينهم هي كالآتي :

- الجودة
- الكثرة
- تعدد الأغراض و القدرة على التصرف في فنون الشعر
- الجزالة

- سيرورة الشعر
- طول القصائد
- الفريحة
- الاحتجاج بآراء العلماء

و لعل المعايير الأولى الثلاثة هي التي ركز عليها ابن سلام في المفاضلة بين الشعراء و تقسيمهم إلى طبقات ألا أنني سأحاول تسليط الضوء على معيار الجودة لأنه يعتبر موضوع بحثي هذا

1ـ الكثرة الجودة:

يعتبر ابن سلام الجودة من أهم المعايير النقدية في كتاب الطبقات، إذ جعله المعيار الأول لتقديم شاعر، وتفضيله، فقد جعل الجودة أساسا لتقديم الشاعر و تفضيله، فقد جعل الجودة أساسا لقديم الشاعر على غيره في طبقته، أو إيراده ضمن الشعراء، أو إهماله فابن سلام لا بورد(المهلهل) في طبقاته على الرغم من أنه ود سبق الشعراء الفحول إلى تقصيد القصائد، و ذكر الوقائع، حيث يقول عنه :"**وكان أول من قصد القصائد و ذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب وائل قتلته بنو شيبان، وكان اسم المهلهل عديا، و إنما سمى المهلهل لهلهلة شعره كهلهلة الثوب، و اضطرابه و اختلافه**"[1].

ومن هنا نرى اهتمام ابن سلام بجودة الشاعر لكي يورد صاحبه في الكتاب ضمن الطبقات الفاصلة فهو تبيين أن المهلهل شاعرا وهو متقدم، و قد سبق الشعراء الى تقصيد القصائد، الا ان اضطراب شعره و اختلافه كان سببا لإهماله، فلو كان ابن سلام يور كل شاعر من الفحول المتقدمين لأنه شاعر فقط لأورد المهلهل، و لاكن اخضاع الشعراء لمقاييس واضحة جعلته يهمله.

و كان ابن سلام دقيقا في ذكر الأمثلة و التنبيه الى قيمة الجودة للشاعر حتى يكون ذالك الشعر الجيد في مرتبة لا يصل اليها شعر مفتعل منحول ملحق بغير صاحبه فاهتمام ابن سلام بمعيار الجودة وتقديمه على جميع المقاييس جعل له اثرا واضحا في تفضيل أو تقدير أو التأخير من الطبقات. ومن الشعراء داخل الطبقة الواحدة بمقياس الجودة هو الذي قدم

[1] ـ طبقات الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، جزء: 1 ، ص: 39

"علقمة الفحل" إلى الطبقة الرابعة "فله ثلاث روائع جياد لولاهن لتأخر عن هذه الطبقة، إذ ليس له جياد غيرها، والا لتقدم الى طبقة أفضل. هذه القصائد لا شيء بعدهن يذكر" [1]
وهو المقياس الدي جعله يضع عبيد بن الأبرص في الطبقة الرابعة، مع انه لا يعرف له من الشعر الا واحدة ومن هذا يتضح أن ابن سلام يجعل الجودة المقياس الأول المقدم لديه و إن ربطها بالكثرة فهو كثيرا ما يجمع بين الكثرة والجودة و لا يفصل بينهما، ما يدل هلى انه لا يريد كثرة فقط، و إنما كثرة جيدة و رد هذا المعيار معبرا عن ابن سلام. فالأعشى مقدم عند أصحابه "**لأنه أكثرهم طويلة جيّدة** "[2]. فهو يجمع بين الكثرة وطول القصائد وجودتها يقول ابن سلام عن شعراء الطبقة الرابعة من الجاهلين، "وهم أربعة رهط فحول شعراء موضعهم مع الأوائل و إنما اخل بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة "[3] فقلة الشعر أدت دورا كبيرا في تأخير هذه الطبقة على الرغم من اعتراف ابن سلام أن موضعهم مع الأوائل .ويقول عن طرقة :" **فأما طرفة فاشعر الناس واحدة** "[4]
" ثم يقول: من بعد له قصائد حسان جياد فهو يشير إلى الكم و الجودة ، فابن سلام يفضل الجيد الكثير على الجيد القليل، وهذا لا يطعن في منهجه، ولا يجعل التفضيل قائما على التفضيل، بينما قدمت الجودة شعراء في جودة قصائدهم على الرغم من قلتهم يقول الرابعة عمر بن شأس كثير الشعر في الجاهلية أكثر أهل طبقته شعرا وكان ذا قدرا وشرفا ومنزلة في قومه"[5]، ومع ذلك قدم عليه الشعراء من طبقته مع أنه كان أكثرهم شعرا وجعلهم رابعهم. وهذا باختصار عن المعيار الذي اعتمده ابن سلام في تصنيف الشعراء إلى طبقات وحكم على أشعارهم بجودة أو الرديء فمعيار الجودة هو من أبرز المعايير المقاييس، بإضافة إلى معياري الكثرة و التعدد الأغراض الشعرية.

الجودة و تجلياتها في كتاب طبقات فحول الشعراء

مظهر الجودة عند الشعراء الجاهليين

1- الجودة في شعر امرئ ألقيس

[1] - نفسه، ص: 139
[2] - المرجع السابق، ص: 65
[3] - نفسه ، ص: 137
[4] - نفسه ،ص:138
[5] - نفسه، ص: 196

جعل أبي سلام "امرأ ألقيس" أول الطبقة الأولى وبين الجيد من شعره وبالرغم من أن الناس أجمعوا على تقديمه إلا إن أبي سلام لا يترك هذا التقديم دون تعليل, فيجعل الجودة هي السبب في تقديمه فيقول عنه" سبق العرب إلى أشياء ابتدعها واستحسنها العرب"[1] ومعروف لدينا أن الاستحسان قائم على الجودة ويقول عنه " وأجاد في التشبيه وكان أحسن أهل طبقته تشبيها"[2] ويورد ما استحسنه الناس له من التشبيه:

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدي وكرها والحشف البالي "[3]

عد هذا البيت من تشبيهات امرؤ ألقيس في وصف عقاب إذ شبه شيئين بشيئين في بيت واحد فكان أول شاعر يفعل ذلك

وقوله: " **كـأني بفتخاء الجناحيـن بقـوة دفـوف مـن العقبان طأطأت شملال**

بعجلـزة قد اتزر الجري لحمها كميـت كأنهـا هـراوة منـوال

وصم حوام ما يقين من الوجى كـان مكـان الـردف منها على وال "[4]

ومن هنا نجد أن امرأ ألقيس قد أجاد في التشبيه حيث وصف الفرس وشبهها بالعقاب وهذا اللين جناحيها وسرعتها وخفتها, إما البيت الثاني فقد شبهها بالمنوال الذي يتخذ عصاه من صلب الخشب واملسه، لذا فهو يصف فرسه بأنها صلبة، شديدة، ناعمة الإملاس، في حين نجد في البيت الثالث يصف فرسا آخر ذكرا، كأن يركبه للغارة بأنه صلب الحوافر.

*ومن تشبيهات امرؤ ألقيس التي أجاد فيها كذلك

له أيطلا ضبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل[5]

فقد شبة خاصري هذا الفرس بخاصرتي الضبي في الضمر، وشبه ساقية بسقاي النعامة في الانتصاب والطول، وعدوه بإرخاء الذئب، و تقريبه بتقريب ولد الثعلب، فجمع

---

[1] - طبقات فحول الشعراء ،محمد بن سلام الجمحي ، جزء: 1،ص:81-86
[2] - نفسه ،ص: 81
[3] - المرجع السابق، ص:81
[4] - نفسه،ص:81-82
[5] - نفسه،ص:84

أربعة تشبيهات في هذا البيت ومن أجود التشبيهات التي أهلته ليكون في المطابقة الأول قوله:

دريرة كحدروف الولـــد ادره تتابع كفية بخطيط موصـــل

كمية يزل اللب عن حال مثله كما زلت الصفراء بالتقـــول

كان دماء الهاديات بنحـــــره عصارة حناه يشيب مرحـــل

وليل كموج البحرارخى سوله علي بأنواع الهموم ليبتلــــــي

فيا لك من ليل كان نجومـــــه بأمراس فنان إلى صمم جندل "[1]

فهذه الأبيات من جيد التشبيه عند امرئ ألقيس أورد غيرها كثيرا ثم يجعل الجودة أساس المفاضلة بين شعراء امرؤ ألقيس وغيره ومن جديد تشبيهات امرؤ ألقيس تصويره للمرأة مشبها إياها بالنار

نظرت إليها والنجوم كأنها مصابيح ريبان تشب القفال"[2]

وقوله كذلك:

كان ألصوار إذ تجاهدون غدوة على جمري، خبل تجول بأحلال"[3]

وعليه فإن ابن سلام كان يرى في امرئ ألقيس، أنه أحسن أهل طبقته تشبيها ثم يورد لنا نماذج عديدة لتكل التشبيهات دون تحليل أو تعليل

بذي ميعة، كأن أدنى سقاطه وتقريبه، هونا، دآليل تعلب

عظيم، طويل، مطمئن، كأنه بجامه بأسفل ذي مأوانا، سرحه مرقب

له جؤجؤ حشر، كأن بجامه يتعالي بيه في رأس جذع مشذب"[4]

ومن هنا نقول أن امرؤ ألقيس استطاع من خلال جودة شعره أن يحتل أولى الطبقات لما برع فيه من جودة في الوصف والتشبيه، فقد فتح لدى الشعراء من بعده أبواب المعاني حتى يدخلوا من وصف الخيل، فقد اقتبسوا معانيه.[5]

2- الجودة في شعر النابغة الذبياني:

[1]- نفسه، ص:85-86-87

[2]- المرجع السابق،ص:82

[3]- نفسه:ص:83

[4]- نفسه:ص:83

لقد اعتمد ابن علي على معيار ابن فنين بارزين في تفضيل النابغة الذبياني وهي جودة الديباجة وكثرة الماء والرونق وتعد جودة الديباجة وكثرة الماء والرونق، أحد المعايير الفنية التي أهلت النابغة لأن يتبوأ هذه المكانة ضمن شعراء الطبقة الأولى الجاهلية، وهذا لاتصاف شعره بالحسن والزينة، بلحظة متلقي الشعر، إذ يولد في نفسه حال من النشوة كشبه حال من يلمس الديباج أو يمعن النظر إليه.

الأمر نفسه في الشعر كثير الماء والرونق، فإنه يبعث في النفس إحساسا يشبه إحساس من يبصر رونق السيف ونظارة الشباب وإشراقه وعلى هذا الأساس قدم بعضهم النابغة، يقول أبي سلام" وقال من احتج للنابغة كأن أحسنهم ديباجة وأكثرهم رونق كلام...."[1]

"أن جودة الديباجة وكثرة الماء والرونق، تعنيان الحسن والطلاوة والزينة الأسلوبية المعتمدة على جرس الألفاظ وعذوبة أصدائها في النفس"[2]

ومن هنا يتضح أن شعر النابغة الذبياني يقترب في ذوقه من المدرسة الأوسية التي اشتهرت عند القدماء بالتنقيح والتجويد، فهو لا يقبل كل ما يغد على خاطره، بل لا يزال بنقصه، وبصقله حتى يستوي له اللفظ الموثق والديباجة الجزلة فقد أتيح له أن يعيش في بيئتين متحضرتين هما الجيزة وبلاط الغساسنة فرق ذوقه، وسهل منطقه ولفظه.

ويقول أبي سلام عن شعر النابغة "كأن أجزلهم"[3]ويروى(أن عمر ابن الخطاب قال: إي شعر الحكم بقول:

فلست بمستبق أخا لم تلمه غني شعت إي الرجال المهذب

قالوا: النابغة، فقال: هو أشعرهم"[4]

فالتفضيل منا قائم علي استجادة بيت النابعة وجزالة شعرة –والجزالة تعطي معني الجودة

يقول النابعة :

قئلك تبلغي النعمان إن له فضلا على الناس في الأدنى وفي البعد "

وقد حال هم ، دون ذلك شاغل مكان الشفاف تبتغيه الأصابع

وقوله من جيد شعرة تجند النعمان لمديحه

1-المرجع السابق،ص:56

2-التفكير النقدي عند العرب ،د:عيسى علي العاكوب،ص:125-126

[3]-طبقات فحول الشعر ،محمد بن سلام الجمحي ، جزء:1،ص:57

[4]-نفسه ،ص:57

3- الجودة في شعر زهير :

ثم يسوق ابن سلام أبيات زهير التي استجادها قدامه بن موسى الجمحي قولة :

من يلق يوم على علاته هرما يلق السماحة منه والندعا خلق

ويقول عن زهير انه كان اجمعهم لكثير من المعنى القليل المنطق"[1]

فتجد زهير أبي سلمى حظي بمكانة راقية في الشعر العربي ،إذ وضعه ابن سلام صمن شعراء الطبقة الأولى الجاهلية، و هذا لتميز شعره اتصافه بالحصافة التي تعني وجود الرأي وأحكامه وسداده فهذه الجودة أهلته لان يتبوأ، و يتصدر هذه المرتبة قرائنه الفيس والنابعة والأعشى ويروى عن سيدنا عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- انه قال لأبن عباس أشدني لأشعر شعرائكم قلت: من هو با أمير المؤمنين؟ قال :زهير،قلت :وكيف كان كذلك،قال :"كان لا يعاظل بين الكلام ولا يتبع وحشية، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه "[2] فالخليفة عمر يفضل زهيرا على سائر الشعراء، لا تصاف شعره بالحصافة (الجودة) والصدق الغني ،فقد قال كان يتجنب التعقيد اللفظي والمعنوي في شعره ما جعله يبلغ المعاني والشعر كما كان صادق في فنه بحيث لا يمدح الرجل إلا بما يكون فيه- من هنا استحق زهير مكانته ضمن الشعراء الطبقة الأولى الجاهلية و هذا لا القيمة سره الفني و أحكامه

يقول زهير في معلقته :

"رأيت المنايا خبط عشواء من تصب	**تميتة، ومن تخطي يعمر فيهرم**
ومن ليصانع في أمور كثيـــــــرة	**يضرس باتياب ويوطأ لمبتســم**
من هاب أسباب المنايا ينلنــــــــه	**و إن يرق أسباب السماء يسلم**
ومن يغترب يحسب عدوا صديقــه	**و من لا يكرم نفسه لا يكــرم "[3]**

و ما يدل على مثابة زهير بشعره و جودته حرصه الشديد على عدم أذاعته للناس إلا بعد تنقيحه و تهذيبية ليبدوا في الإطار الذي يرضيه هذا الشاعر المجيد لفنيه الذي عرفا بين الناس فالا جادة و ألا بداع وتنفيه الإعلام الأدبية من الشوائب من واجب كل شاعر الذي يولي اهتماما لشعره ويحترم أذواق الناس فلا يقدم إليهم إلا فن يطمئن الشاعر

---

[1]-نفسه ،ص:64

2 المرجع السابق ،ص:64

[3]-نفسه:ص:63

لجودته،أولا،وهذا ليرضي عنه الأذواق المشيرة في بيئات الفن و الآداب و كان ذلك هو المهم في تلك الأحكام الكثيرة التي اجتمعت على الاعتراف بجودة شعر زهير و عدة من شعراء الطبقة الأولى الجاهلية ونموذج جودة شعره قوله :

ها العين و الأرام يمشين خلقة و لأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

وقفت بها من بعد عشرين حجة فلا يا عرفت الدار بعد توهـــــــــــم

أنا في شفعا في معرس مرجل و نِؤيا كجذم الحوض لا يتكلم "[1]

وها يدل كذلك على اتصاف شعر زهير بالحصانة و الجودة الفنية أن تشبه امرأة في الشعر بثالثة أوصاف في بيت واحد وخذا قوله:

تنازعت آلمها شبها ذو البحور و شاكهت فيها الظباء "[2]

وقوله:

يطغيهم مارتموا حتى إذا اطّعنوا ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا[3]

وهما يستجادله إلك قوله :

وذي نعمـــــــــة تممتها و شكرتهـــــــا وخصم يكاد يغلب الحق باطله

دفعت بمعروف من القول صائب إذا ما أصل الناطقين مفاصله

وذي خطل في القول يحسب انه مصيب فما يلم به فهو قاتله[4]

4- الجودة في شعر الأعشى:

ومن الشعراء الذين تحققت الجودة في أشعارهم نجد الأعشى يقول أني سلام موردا حجة من يفل حجة الأعشى و أذهبهم في فنون الشعر و أكثرهم طويلة جيده و أكثرهم مدحا و هجاء و فخرا ووصفا كل ذلك عنده"[5] فابن سلام اتخذ مقاييس الجودة مع مقياس أخر هو الكثرة حيث يرى أن يكون للشاعر قصائد كثيرة طويلة مع جودتها لذا قدم الأعشى الوجود لهذين الشرطين

جودة قصائده

[1]- شرح المعلقات السبع،للقاضي أبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزوني،ص:99

[2]- الشعر والشعراء، ابن قنتية ، ،ص:129

[3]- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي ،ص: 138

[4]- نفسه ،ص:138

[5]- نفسه ،ص:65

" تريك القذى من دونها وهي دونه إذا ذاقها من ذاقها يتمطق"[1]

وقوله:

ومستجيب لصوت النصح تسمعه إذا ترجع فيه القينه الفصل"[2]

وقوله:

وقد عذوت إلى الحانوت يتبعني شاو مشل شلول شـــــول
في فتية كسيوف الهند فـــد علموا أن هالك كل من يحص و ينتعل
نازعتهم قصب الريحان متكئـا وقهوة مزن رواقها فصـــــل
لا يستفيقون منها و هي راهنة إلا تهات وان علوا نهلــــــوا
يسعى بها ذو حاجات له نطــق مقلص أسفل السوبال معتمـــــل

فهو في الأبيات يصف يوما من أيام لهوه، غدا فيه إلى خمار مع رفيق ناشط، خفيف الحركة، طيب النفس، في فتية كسيوف الهند مضاء وقوة ورونقا فالأعشى أجاد في وصف الخمرة إجادة لفتت النقاد القدامى فقالوا عنه بأنه اشعر الجاهلين إذا طرب أي: شرب الخمر ووصفها.

ومن نماذج الدالة على الجودة في أشعار الطبقات نجد الحطيئة والذي مثل الطبقة الثانية من الجاهلية فأشعار الحطيئة توفرت على الجودة ما أهله لأن ينال هذه الدرجة يقول ابن سلام عن شعر الحطيئة "وكان الحطيئة متين الشعر شرود القوافي"[3]

ومن جيد شعر الخطيئة قوله:

"أبي لك آباء أبي لك مجدهم يسوى المجد فانظر صاغرا من تنافره
قبور أصابتها السيوف ثلاثة نجوم هوت في كل نجم مرائـــــره
فقبر بأجيال، وقبر بحاجـــر وقلب القليب اشعر الحرب سأعـــره
وشر المنايا هالك وسط أهله كهلك الفتاة أيقظ الحي حاضــــره

وقوله:

أذئب الفقر أم ذئب أنيس أصاب البكر، أم حدث الليالي

[1]- الشعر والشعراء، قتيبة ،ص: 229
[2]- نفسة ،ص:223

[3]-طبقات فحول الشعر ،محمد بن سلام الجمعي ،جزء:1، ص:104

ونحــن ثلاثة وثلاث ذود لقد جاز الزمان عليا عيالــي

وقوله كذلك:

ماذا تقول لأفراخ بذي مــرخ حمر الحوا صل لا ماء، ولا شجر

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة فأغفر، عليك سلام الله يا عمــر

أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ألقى إليك مقاليد النهى البشر

ما آثروك بها إذ بايعوك لهـــا لكن لأنفسهم كانت بك الأثر"[1]

فهذه بعض النماذج التي اتسمت بالجودة لدى شعر الحطيئة.

***ويقول عن عدي:" وله أربع قصائد غرر روائع مبرزات"**[2]

ومن جيد شعره قوله:

"ذهبت من الهجران في كل مذهب ولم بك حقا كل هذا التجنب

وقوله:

طحا بك قلب في الحسان طــروب بعيذ الشباب عصر حان مشيب

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

ولا شيء بعدهن يذكر"[3]

ويقول عن سويد بن كراع " وكان شاعرا محكما وكثيرا ما يختار الشعر الجيد"

وله قصيدة جيدة أولها:

بسطت رابعة الحبل لنا، فمددنا الحبل منها، ما اتسع

وله شعر كثير ولكن، برزت هذه على شعره. وهو الذي يقول:

جررت على راجي الهوادة منهم وقد تلحق المولى العبود الجرائر"[4]

وعن المنقب يقول ابن سلام "والمنقب ألعبدي هو الذي يقول :

أفاطم قبل بيتك متعينـــي ومنعك ما سألتك إن تبيني

ولا تبعني مواعد كاذبات تمر بتا رياح الصيف دوني

فأتي لو تخالفي شمالي عنادك، ما وصلت بها يميني

---

[1]-المرجع نفسه، ص:112-171

[2]- نفسه، ص:139

[3]- نفسه،،ص:139

[4]- نفسه،ص:153

إذا لقطعتها وكفلت بيني ! كذلك احتوى من يجتويني"

إذا ما قمت أرحلها بليل تأوه آهة الرجل الحزين

تقول إذا درأت لها وضيني أهذا دينه أبدا وديني

أكل الدهر حلا و ارتحالا؟ أما يبقى على ولا يقيني

فابقي باطلي والجد منها له كان الدر ابنة المطين

"وهذه الأبيات بعض القصيدة وإنما انتخبنا أجودها أبياتا ".[1]

فهذا يدل على اهتمام ابن سلام الجمحي بمقياس الجودة في الشعر .

مظهر الجودة عند الشعراء الإسلاميين

كما جعل الجودة الفيصل في التفضيل بين جرير و الفرزدق والأخطل وفسر قولهم : "(الأخطل إذا لم يجئ سابقا فهو سكيّت, والفرزدق قد لا يجئ سابقا ولا سكينا, فهو بمنزلة المصلى، جرير يجئ سابقا و سكيّت و مصليا " [2] ويعني من كلامه تفاوتهم في الجودة و تأويل قوله: أن للأخطل خمسا أو ستا أو سبعا طوالا غرز أحياد هو مهن سابق ,وسائر شعره دون أشعارهما. فهو فيما بقي بمنزلة السكيت، و السكيت أخر الخيل في الرهان ويقال:" أن الفرزدق دونه في هذه الروائع. وفوقه في بقية شعره , فهو كالمصلى أبدا الذي يجئ بعد السابق وقبل السكيت، وجرير له روائع هو بهن سابق، والأوساط هن بهن مصلى و سمسمات هو بهن سكيت [3] " جعل ابن سلام مقياس السبق و التقدم هو الجودة الظاهرة في القصائد الغر الحياد. فالتفضيل في التقديم عائد لروائع القصائد و حيادها و ذكر الأبيات التي حم بها مروان في الثلاثة، وذكر أن تفضيلهم عائد

للجودة، و تلك الأبيات هي :

ذهب الفرزدق بالفخار وإنما حلو الكلام ومره لجرير

ولقد هجا فامض أخطل ثعلب وهوى اللهى بمديحة الشهور

كل الثلاثة قد أجاد فمدحه وهجاؤه قد سار كل مسير"[4]

[1]- المرجع السابق،ص:272-273-274

[2]- نفسة،ص:321

[3]- نفسة،ص:375

[4]- نفسه، ص:378

فهو يجعل الحكم النهائي في تحديد مكانة الشاعر–جودة شعره، وتراه يورد بيتا واحدا يجعله الحكم في التفضيل لجودته فقد أورد بيت جرير:

وطوى القياد مع الطراد بطونها طي النجار بحضرموت برودا

ويبين أن عبيدة بن هلال اليشكري فضل به جريرا على الفرزدق"[1]

من جميع ما سبق يظهر اهتمام ابن سلام بالجودة الشعرية، وأنه جعلها المقياس الأول للتفضيل، وذكر جيد الشعر، سواء كانت الجودة في الشعر عامة أو في فن من الفنون، أو في الأبيات المفردة، واهتم كثيرا بالإجادة عندما يتحدث عن شاعر أو شعر أو يذكر آراء العلماء في تفضيل شاعر، أو يفسر بعض الأمور المتعلقة بالشعراء، فيجعل الجودة غالبا محور التفضيل والحديث.

إن اهتمام ابن سلام بمقياس الجودة وتقديمه على جميع المقاييس جعل له أثرا واضحا في التفضيل أو التقديم والتأخير من الطبقات، من شعراء داخل الطبقة الواحدة.

فمقياس الجودة هو الذي قدم علقمة الفحل إلى الطبقة الرابعة فله" ثلاث روائع جياد لا يفوقهن شعر" [2] لولاهن لتأخر عن هذه الطبقة إذ ليس له جياد غيرها، وإلا لتقدم لطبقة أفضل.

ومقياس الجودة هو الذي وضع عبيد ابن الأبرص في الطبقة الرابعة مع انه لا يعرف له من الشعر إلا واحدة.

أقفر من أهله ملحب فالقطبيات فالذنوب"[3]

وما بقي لا يراه ابن سلام شعرا، ولولا جودة هذا لما تقدم إلى هذه الطبقة لقلة شعره.

والجودة وحدها هي التي جعلت عنترة ابن شداد في الطبقة السادسة لأن له واحدة ناذرة وهي:

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

فوقفت فيها ناقتي وكأنها فدن لأقضي حاجة المتلـــــوّم

وتحل عبلة بالجواء وأهلنا بالحزن فالصّمان فالمتلثـــــم

حييت من طل تقادم عهده أقوى وأقفر بعد أم الهيثـــــم"[1]

[1]- نفسة،ص:382
[2]-المرجع،ص:139
[3]-نفسه، ص :139

خلاصة الفصل

ومن هذا كله نستخلص أنّ ابن سلام من خلال كتابه، يعتبر من النقاد الأوائل الذي أمسوا المعايير التي يقيس بها الشعراء أشعارهم، و لعل أبرز تلك المعايير، معيار الجودة الذي أولاه أهمية بالغة في تصنيف الشعر، والشعراء حسب مراتب، و طبقات، و ذلك في خلال كتابه طبقات فحول الشعراء، الذي بعد في خلال كتابه طبقات فحول الشعراء الذي بعدّ أول كتاب صنف الشعراء إلى طبقات وفق معايير مختلفة، أعطى أهمية البالغة لمعيار الجودة و أعلاه على جميع المعايير و من هنا كان ابن سلام دقيقا في ذكر الأمثلة و التنبه إلى قيمة الجودة في الشعر، حتى يكون ذلك الشعر الجيد في مرتبة ما يصل إليها شعر مفتعل منحول ملحق بغير صاحبه.

[1]- شرح المعلقات السبع،للقاضي ابن عبيدة الله الحسين بن احمد الزوزني،(د-ت ج) مكتبة المعارف،بيروت-لبنان،1،2004،ص:78


الخاتمة

الخاتمــــــــة

وفي نهاية بحثنا هذا، وبعد جولتنا مع مصطلح الجودة في النقد الأدبي القديم-كتاب طبقات فحول الشعراء نموذجا- خلصنا إلى النتائج التالية:

- إن الأحكام النقدية قديما كانت أحكاما انطباعية جزئية، تهتم بأن يكون الإنتاج الأدبي جيَدا.
- أن فكرة الجودة أول ما ظهرت في التراث النقدي القديم حيث كان الشعراء يحكمون على أشعار بعضهم البعض إم للجودة أو الرداءة (المفاضلة بين الشعراء).
- إن لغويين القرن الثالث هجري كان لهم دور بارز في وضع معايير واضحة ومقاييس محددة بعيدة عن التأثيرات الفلسفية والفكرية التي كانت سائدة في القرن الثالث الهجري.
- تعتبر الجودة من المعايير اللازمة في الحكم على الشعر والشاعر، لذا نجد ابن سلام اتخذها معيارا أساسا لتصنيف الشعراء إلى طبقات وعمل على تطويرها من خلال إعطائها بعدا اصطلاحيا عميقا.

تم بعون الله و توفيقه

الحمد لله

قائمة المصادر و المراجع

المراجـــــــع

أولا: المصادر :

1. طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحي، تح: محمود محمد شاكر الناشر دار جدة (د-ط)، (د-ت)، ج :1.

ثانيا: المراجع:

1. البيان والتبيين، الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر)، تح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 7، 1419ه – 1998م.
2. تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، د. محمد زغلول سلام، الناشر المعارف الإسكندرية، (د، ط)، (د، ت) .
3. التفكير النقدي عند العرب، د. عيسى علي العاكوب، (د، تح)، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط:6، 2006.
4. شرح المعلقات السبع، للقاضي أبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني،(د-ت ج)،مكتبة العارف بيروت لبنان،ص:1،2004.
5. الشعر والشعراء، ابن قنتية، ت ج:احمد محمد شاكر، دار الآثار، ط القاهرة،ط:1، 2010.
6. فحولة الشعراء، الأصمعي ،تح:ش.توري، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط2 ،1400هـ-1980م.
7. في النقد الأدبي، التقديم عند العرب، مصطفى عبد الرحمان إبراهيم، مكة للطباعة ، سنة 1419 هـ،1998م .
8. طبقات فحول الشعر، محمد بن سلام الجمعي ،تج: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة،(د-ط).
9. المقضليات ، المفضل الضبي ،تج: أحمد محمد شاكر و عبد السلام هارون ، دار المعارف ، مصر،ط6 ، 1979 .
10. الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، أبي عبد الله بن عمران بن موسى المرزباني،تح: محمد حسين.

11. نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت).

ثالثا: المعاجم و القواميس:

1. المعجم الأدبي، جبور عبد النور، (د،تح): دار العلم للملايين ، بيروت ،لبنان، ط2، 1984
2. المعجم المفصل في الأدب، د.محمد التونجي،(د،تح)، درا الكتب العلمية، بيروت، بنان،ط.2،سنة1419هـ-1999،ج:1.
3. القاموس المحيط، محمد الدين محمد الدين بن يعقوب القيروزيادي، تح: أنس محمد الشامي، زكرياء أحمد ، دار الحديث، القاهرة،سنة2008 .
4. تاج العروس، من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1415هـ- 1994 م جزء 7 .
5. كتاب العين، أبي عبد الرحمان بن أحمد الفراهيدي، تح: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم و الفهارس، (د.ط)،(د.ت) ، الجزء6 .
6. لسان العرب، ابي المنظور(د،تح): عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، لقاهرة، جزء الأول.
7. مختار الصحاح، زني الدين محمد بن ابي بكر عبد القادر الرازي، تح: محمد بخاطر و حمزة فتح الله ، مؤسسة الرسالة 1414 هـ،1994م .